الجمهورية الجـــزائريـــة الديمقـــــراطية الشعـــبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران (السانيا)

كلية الآداب، اللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

سيميائيات جوزيف كورتاس

أسسها النظرية وآفاقها التطبيقية

مذكرة تخرّج لنيل شهادة ماجستير

مشروع: السيميائيات وتحليل الخطاب الأدبي 2002 - 2003

إشراف الدكتور:

أحمد يوسف

إعداد الطالب:

دايري مسكين

أعضاء لجنة المناقشة :

- د. ناصر اسطنبول، جامعة وهران ..... رئيسا
- أ.د. أحمد يوسف، جامعة وهران .....مشرفا
- أ.د . عبد الحميد بورايو ، جامعة الجزائر..... مناقشا
- د. عبد القادر شرشار ، جامعة وهران ..... مناقشا

السنة الجامعية: 2008/2007

الإهـــــــــــــداء

إلى والديّ الكريمين اللّذين قدّما لي في المهد أثمن الهدايا

... هديّة الإيمان

مقدمـــــــــــــة

فتحت دروس **فارديناند دو سوسير(F.de Saussure)** آفاقا واسعة في مجال البحث والتنظير في العلوم الإنسانية، حيث أحدثت قطيعة إبستمولوجية مع التفكير اللساني القديم، وأعلنت بداية علم جديد يدرس حياة العلامات ضمن الحياة الاجتماعية.

والجلي أن أهم ما أقبلت عليه هذه اللسانيات هو فتحها الممارسة العلمية المحايثة، وإعلاءها للمنهج العلمي، الأمر الذي أدى بالعلوم الإنسانية إلى اقتفاء النهج نفسه، وحداثة الرؤية ذاتها، بل اتخذتها مباحث عديدة أنموذجا يُحتذى به، لأن اللسانيات كانت سبّاقة إلى إقامة مراجعة جذرية لمنهجية البحث في العلوم الإنسانية.

وإذا ما عزمنا البحث في سيميائيات "باريس"، استلزم الأمر منا بداهة الحديث عن الأصول اللسانية والأنتروبولوجية والميتولوجية والفلكلورية، التي أمدّت الدرس السيميائي السردي بالنماذج الدلالية الأولى، والمفاهيم الإجرائية اللازمة، كما لا يزال هناك متّسع في رحاب هذه النظرية، للاستزادة الدائمة من مختلف المباحث العلمية، وبالخصوص تلك التي عرفت مناهجها ومفاهيمها قبولا واعترافا بين الأوساط العلمية، إن بدقة نتائجها وإن بحداثة رؤاها؛ فالإطار المفهومي اللساني سواء لدى **سوسير** أو **يامسليف** أو **ياكبسون** أو **شومسكي**، ومورفولوجيا **"بروب"** وبنوية **"ليفي ستراوس"**، والنماذج المنطقية والرياضية المختلفة، كالمربع السيميائي ومتصورات مجموعة كلين، تمثل الشاهد والدليل البيّن على الأفق النظري المفتوح الذي يصبو في برنامجه إلى إنشاء نظرية

للدلالة، وليس فقط نظرية تواصلية قصدية تستهدف دراسة التواصل اللساني ووصف آلياته وقواعده، فالنظرية السيميائية ترنو إلى أن تكون نظرية تتكفل بكل الألسن الطبيعية وكذا بكل اللغات الأخرى(السنماتوغرافيا، الرسم التصويري، إلخ)، معتبرة أن مستوى الدال (التعبير) ليس رهين المواد اللغوية اللسانية فقط، وإنما قد يتمظهر في أشكال مختلفة، وفي هذا المعنى يرى **"أ.ج.غريماس"**(A.J.Greimas) أن ((بإمكان الدلالة أن تختفي وراء كل الظواهر الحسية، إنها خلف الأصوات والصور والروائح،إلخ))[1]. لكن يبقى النسق اللساني أبرز هذه الأنساق وأكثرها شمولية.

وفي إطار مدرسة باريس السيميائية، يبرز اسم السيميائي**"جوزيف كورتاس"**؛ ليس باعتباره تابعا فحسب، أو تلميذا شارحا ومطبّقا لنظرية **"غريماس"** السيميائية كما لو كنّا نتحدّث عن أصحاب الهوامش والحواشي وعلاقتهم بالمتون في تراثنا العربي، وإنما باعتباره سيميائيا مشاركا في التأسيس والتنظير لهذا المشروع الذي لم ترتسم نهايته بعد، إنْ من خلال المشاركة الفعلية في القاموس السيميائي، وإن في إضافاته النوعية المهمّة، شأن وضع فرضية لإنشاء دلاليات للحكاية العجيبة، أو إسهاماته في إيجاد دلاليات للتلفظ، بالإضافة إلى بعدين غاية في الأهمية ألا وهما انتهاج استراتيجية تعليمية تبتغي بسط المفاهيم السيميائية من خلال التطبيق، وكذا توسيع مجال الممارسة السيميائية والتطبيق على أنساق دلالية مختلفة من حيث الجنس الأدبي والطبيعة اللسانية.

ومن هنا أخذت مذكرتنا هذا العنوان :" سيميائيات جوزيف كورتاس"، محدّدة من وجهة جزئية هذه السيميائيات ضمن مدرسة "باريس"، ومظهرة من وجهة أخرى، ملامح التميّز التي انفردت بها هذه السيميائيات، فإذا كان الفعل التأسيسي للسيميائيات السردية يُحيلنا مباشرة إلى **"غريماس"** ، وإذا كانت بعض ميادين البحث تشير إلى باحثين معينين، شأن ارتباط النصوص الإنجيلية بمجموعة "أنتروفارن" Groupe d'entrevernes ، وسيميائيات الصورة بـــ: **"ج.م.فلوش"** J.M.Floch ، واللغة الإشهارية بـــ: **"أ.بارتين"** E.Bartin ، يبقى التساؤل عن **"كورتاس"** وسيميائياته ضمن هذا المشروع الجماعي أمرا يقتضي بيان الأصول النظرية التي استمدت منها وجودها، وتحديد الميزات التي انفردت بها هذه السيميائيات ، ولذلك ارتأينا من

(1) – A.J.Greimas, Du sens . Paris, éd. Seuil, 1970, P. 49.

البداهة، أن نشرع قبل أي شيء بالتعريف بالسيميائيات الأوروبية، واستظهار قرابتها القوية بلسانيات **"سوسير"** في مدخل البحث.

وخصّصنا الفصل الأول لبيان أصول مدرسة باريس، ذلك أن جهود هذا السيميائي وإسهاماته النظرية والتطبيقية لا ينبغي أن تؤخذ بمعنى مبتور ومستقل عن أي انتماء لأي اتجاه فكري، أو مدرسة سيميائية معيّنة، وإنما من اللازم أن تُفهم سيميائيات **"كورتاس"** كإسهام جزئي يستغرق في إطار أعمال مدرسة باريس السيميائية التي لن يتأتى فهم أسسها ومراميها إلا من خلال ربطها بفضاءات المعارف التي منها استمدت مشروعية وجودها، وبالخصوص مرفولوجيا **"بروب"** وبنوية **"ليفي ستراوس"** التي تعد في نظر **"جون بيتيدو كوكوردا" (J.P.Cocorda)** من المصادر الرئيسة لهذه المدرسة، وفي هذا المعنى لابد من الإشارة إلى أنّ إنشاء نظرية للدلالة على غرار مشروع مدرسة باريس، قد بدأ من تلك الافتراضات والتقديرات والتصوّرات التي نصبت حول الدلالة والمعنى منذ زمن بعيد، فحطام نتائجها وخلاصاتها هو الذي أجّج نظريات اليوم.

وأما الفصل الثاني فقد خصّصناه لاستظهار مميّزات الفعل السيميائي **"لجوزيف كورتاس"** محاولين حصرها في فرضية لإنشاء دلاليات للحكاية العجيبة والإسهام في إنشاء دلاليات للتلفظ بالإضافة إلى الاستراتيجية التعلمية التي فتحت فضاء المعرفة السيميائية، وتوسيع المقاربة السيميائية لتشمل أنواعا خطابية مختلفة، وليلج في فضاء القاريء. سلك هذا السيميائي مسلكا فصل فيه حدود التنظير والتطبيق ومحاها، بحيث لم يقتصر عمله على تقديم المفاهيم، واستظهار ترابطاتها المنطقية، وإنما عكف على إثبات صلاحيتها من خلال توظيفها على مختلف الخطابات والنصوص وهذا ما يؤدي إلى توسيع مجال المعرفة السيميائية وتعميمها، فلا تبقى محصورة على فئة مخصوصة من القرّاء.

أما الفصل الثالث، فقد اشتغلنا من خلاله باستظهار شمولية الممارسة السيميائية، بحيث إن الدلالة لا تستنبط من سطح النص، ولا تقتصر عليه، وإنما تبدو أكثر حضورا في رحاب المدلول (المحتوى)، وانطلاقا من هذا التقدير الذي يعتبر من المقولات الرئيسة، يغدو تنوّع الخطابات أمرا متجاوزا مادام المشترك بين هذا التنوّع الخطابي مستقرّا في إطار المحتوى، ويمكننا بذلك توظيف المفاهيم ذاتها، والنهج التحليلي نفسه في مقاربة الخطابات واستجلاء دلالاتها، وهذا يعني فيما يعنيه،

أنّ المقاربة السيميائية تبدو أعم من أن تكون مقتصرة على نوع خطابي واحد، ووِفق هذا التقدير، يبدو أنّ التسليم بجزئية المقروء في فضاء الأنساق الدالة من مسلمات النظرية السيميائية الباريسية.

وقصد تبيين هذا المعنى وقع اختيارنا على ثلاث مقاربات سيميائية لـ **:كورتاس** استهدفت الأولى استظهار البنية العميقة لنص لساني تمثّل في حكاية روسية عجيبة (بابا جاغا) وأما الثانية فقد استهدفت استظهار التماثل (isomorphie) والتضايف(correlation) بين الشكل والمحتوى لنص غير لساني (موكب جنائزي)، وأما المقاربة الثالثة فخصصناها لاستجلاء كيفية تحديد صور التيمي لنص مرئي خالٍ من أيّ معطى لساني تمثّل في شريط صور لـــ : **ب.رابيي** B.Rabier وهذا يؤكد أنّ العالم المحسوس من حولنا يضحى في كليته موضوعا لاكتشاف الدلالة والمعنى،وأنّ طبيعة الدلالة موصولة بكيفية إنتاجها، وشروط إنتاجها، فيكون المسعى السيميائي بذلك يستهدف توسيع حقل عمله من خلال اكتشاف فرضيات استراتيجية لفهم الدلالة من دون الشروع في البحث في ماهيتها وطبيعتها.

وحاولنا في ختم هذا الفصل، ممارسة اللغة السيميائية الواصفة على نص مسرحي **"لنجيب محفوظ"** (الشيطان يعظ)، مستهدفين استجلاء علاقات المربع السيميائي ، وقاصدين في الوقت نفسه إثبات العلاقة الوثيقة بين النظري والتطبيقي، وهو المقصد ذاته الذي يعمل على تحيينه سيميائيو "مدرسة باريس" .

وكم تبدو الحاجة ملحّة اليوم إلى بناء دراستنا اللغوية والسيميائية على منهج له فلسفته وتجاربه، كحال النظرية السيميائية الباريسية إرضاءً للروح العلمية الخالصة، فدرجة التفاوت بين واقع دراستنا وبين مثيلاتها الغربية جليّة بيّنة، لكن لا ينبغي حمل معنى هذا التفاوت على معنى الأفضلية التي لاسبيل إلى تجاوزها أو بلوغها، وإنما هو تفاوت يمكن رفعه متى ظفرنا بأسباب التمكين، التي لا نرى لها وجودا إلا في مبدأ العلمية الخالصة، فليست المزيّة في اتباع كل جديد وحديث، وإنما هي في الاتصال مع كل ما يمكن أن يحلّ إشكالاتنا العديدة، واقتدر على توسيع معارفنا.

وفي الأخير نشير إلى الصعوبات التي اعترضتنا، وهي بالدرجة الأولى: اضطرارنا إلى الترجمة الشخصية، التي نعترف ابتداءً بقصورنا عنها لكوننا لانزال طلبة دارسين غير متخصّصين ولا مؤهلين تجربة ومعرفة إلى الخوض فيها بالكفاية المطلوبة والأداء الوجيه، ولا سيما أنّ أغلب مؤلفات **كورتاس** غير مترجمة إلى اليوم حسب ما وصل إلى علمنا.

وبالدرجة الثانية كون **جوزيف كورتاس** لم يسبق أن تناولته الدراسات الأكاديمية العربية، ممّا يحرمنا من الاسترشاد بمن سبقنا، ويوقعنا موقع من يتفرّد بالسبق، فتكثر أخطاؤه ونقائصه، كما نشير إلى أننا اعتمدنا على قراءة مراجع البحث في لغاتها الأصلية، وعمدنا إلى تلخيص ما تأدى إلينا فهمه، وغلب على ظنّنا أنه المقصود، وذلك نابع من اعتقادنا الجازم من أنّ فعل الترجمة هو من دون شك أعمق قراءة ممكن أن تحقق لنا فهم منتوج الآخر، والاستفادة من مزاياه.

ولا يسعني في الأخير إلا أن أتقدم بالشكر والعرفان لأستاذي الدكتور أحمد يوسف، الذي تعهّد هذا البحث بإرشاداته وتوجيهاته، وكم أود كذلك أن تسعفني العبارات كي أعبّر عن امتناني لكلّ الأساتذة الذين عملوا على توجيهنا وإثراء معارفنا. والله من وراء القصد.

مدخـــــــــــل

عناصر المدخـــــل

تمهيـــــد

1. السيميائيات عند بورس وعند سوسير، تماثل أم اختلاف.

2. مدرسة باريس والبحث الدلالي.

3. تطوّر البحث السيميائي.

4. السيميائيات في الدراسات العربية

1.4 "كورتاس" في البحث السيميائي العربي.

إنّ حفرا أثريا في تاريخ المعرفة يؤول بنا إلى استكشاف آثار فكر سيميائي، ارتسمت معالمه منذ طلائع التفكير في العلامة لدى اليونان[1] إلى أن استقرّت أركانه واستوى صرحه في المشروع السيميائي الحديث. وهذا ما يؤكّد أنّ هذا المبحث العلمي لم يكن طفرة علمية منفصلة عن فضاء المعارف السابقة، ولكن تشكيل جديد لسعي علمي استمدّ مشروعية وجوده من تاريخ ممارسات فكرية، وفلسفية، ولغوية، تكفلت السيميائيات[2] بصياغة موضوعاته وإشكالاته.

والجلي أنّ لسانيات **دو سوسير** "de Saussure" [3] كانت من أهم هذه الروافد؛ فهي التي أعلنت بعبارة واضحة أحقية ((وجود علم يدرس حياة العلامات ضمن الحياة الاجتماعية))[4] ذلك لأنّ ((تطوّر حياة الإنسان أدى إلى تطوّر الأنساق التي تتجمّع ضمنها الإشارات [5]" signaux")) فتفاعل الإنسان وتناغمه الحي مع محيطه، دفع به إلى خلق أنساق لغوية مصاحبة لحياته الدائمة التغيّر، فأنتج لغات للتواصل وللتعبير عن حاجاته البيولوجية، والثقافية، والنفسية، والفكرية، كالفرح و الجوع، والعمل، والفكر، وهي مظاهر تتوارى خلفها كل حياة البشر.

وإذا كان مسعى اللسانيات يستهدف نسقا دلاليا معيّنا، يدرسه، ويستكشف أنساقه، ويصفها بمنهجية علمية مميّزة، فإنّ دأب السيميائيات أوسع من أن ينشغل اهتمامه بالعلامة اللسانية؛ فهي تستهدف كل الأنساق الدّالة، سواء كانت لسانية أو غير لسانية، ذلك لأن بوسع الدلالة ((الاختفاء وراء كل الظواهر الحسيّة، إنّها تتوارى خلف الأصوات، والصور، والروائح))[6] لكن يبقى النسق اللساني أكثرها شمولية وتطوّرا، حيث يؤكّد **إ. بنفنست** "E.Benveniste" أنّ ((على كل نسق سيميائي، غير لساني، أن يعتمد على اللسان ، ولا يمكن

---

(1) - T.Todorov, Théories du symbole, Paris ,éd. Seuil ,1977, P.14.

(2) نشير بالخصوص إلى السيميائيات الأوروبية.

(3) هو فرديناند دو سوسير Ferdinand de Saussure العالم اللساني السويسري، ولد سنة 1857 بجنيف، ومن أهم مؤلفاته دراسته المقارنة حول اللغات الهندوأوربية (1878) ومحاضراته التي ألقاها بباريس (1906 1911) والتي جُمعت بعد وفاته في كتاب : دروس في اللسانيات العامة.

(4) - F.de Saussure, Cours de linguistique générale, Paris, éd. Payot, 1962, P.22.

(5) - J.L, Prieto. Message et signaux, Paris, éd. PUF,1966 ,P.5 .

(6) - A.J.Greimas, Du sens, Paris , éd. Seuil,1970, P.49 .

أن يكون له وجود إلا ضمن سيميائيات اللسان))[1] وهذا ما يثبّت أهمية اللسان بين كل الأنساق الدلالية الأخرى.

1. السيميائيات عند بورس وعند سوسير، تماثل أم اختلاف :

لم ينظر **ش.س. بورس** C.S.Peirce * لسيميائيات تهتم بدراسة علامة معيّنة دون غيرها، ولم يكن يدور في خلد **دو سوسير** de Saussure حصر مجال سيميائته في البحث عن أنساق علامات محدّدة. ولكن دأب كلّ واحد منهما ، على الرغم من الاختلاف البيّن في المنطلقات الابستمولوجية، والمفاهيم الإجرائية، على التأسيس لسيميائيات لا ينحصر موضوعها في حدود العلامة اللسانية، ولا البصرية، ولا التصرفات، والقيم، والاعتقادات، وإنما كانت وجهة القصد دراسة أيّ شيء حامل لدلالة؛ فخصوصية العلامة، على اختلاف شكلها التعبيري وتعدّده، تجد مستقرّا لها في ذلك الجانب الغائب المجهول جوهره، في الدلالة.

وإذا ثبتت صلة القرابة الشديدة بين السيميائيات الأوروبية واللسانيات السوسيرية، فإن نظيرتها الأمريكية أُنشئت على صرح فلسفي منطقي؛ حيث يرى **بورس** أن سيميائياته ما هي إلا اسم آخر للمنطق[2] ، بل يعتقد أنها المؤسسة لأشكال التفكير الثلاثة :الفرضية والاستنتاج والاستقراء [3] ؛ حيث كتب في إحدى رسائله إلى صديقته **ليدي ويلبي** Lady Welby يقول : ((لم يكن بمستطاعي دراسة أيّ شيء كان: رياضيات، وأخلاق، وميتافيزيقا، وجاذبية، وديناميةحرارية، ومناظر، وكيمياء، وعلم التشريح المقارن، وعلم الفلك، وعلم النفس، وصوتيات، واقتصاد، وتاريخ العلوم، ولعبة الورق (هويست)، ورجال ونساء، وخمر وقياسة، إلا بوصف ها

---

[1] - E.Benveniste, Problémes de linguistique générale (2),Tunis,éd. CERES,1995,p.55.

* هو شارل سندرس بورس Charles Sanders Peirce من مواليد سنة 1839 بكامبريدج، كان أبوه أستاذا للرياضيات بجامعة هارفارد، وقد مكّنه من تلقّي تكوين جيد في العلوم التجريبية، والرياضية، والمنطقية، والفلسفية، تخرج من هارفارد سنة 1859 ، كتب عدّة مقالات علمية جُمعت بعضها تحت عنوان : البحوث الفوتومترية، كما نشر كذلك مقالات في منطق العلاقات وفلسفة العلوم التداولية، وفي الفترة الممتدة بين 1903 1911 شرع بورس قي مراسلة صديقة له هي : Lady Welby ، وكان مشروعها إنشاء نظرية سيميائية. وبعد وفاته سنة 1914 جُمعت مخطوطاته وطبعت في كتاب.

[2] - C.S.Peirce, Ecrits sur le signe, trad . G. Deldalle, Paris, éd. Seuil, 1978, P.120 .

[3] – Ibid ., P. 120 .

سيميائيات))[1] . وعلى أساس هذا التحديد يبدو لنا امتداد هذا المشروع وشموليته، وإذا ألفينا **بورس** يدرج ضمن نظريته السيميائية كل ميادين الدلالة، مبديا اهتماما كبيرا بتحليل التصورات المنطقية، والرياضية، والفيزيائية، والنفسية، والدينية، وظواهر الاعتقاد وغيرها، فإن تحليل النصوص السردية (بمختلف أشكالها الجنسية) ظل يشكل فراغا في هذا الجهاز ونسقه الكلّي التجريدي الذي يفترض احتواء كل الظواهر ومبتدياتها الظاهرية[2] ولعلّ سبب ذلك موصول ، بدون شك، إلى التكوين الرياضي المنطقي **لبورس** من وجهة، وإلى الاعتقاد المتبع الذي يرى في الرياضيات والمنطق العلم الذي يشكل مصدر العلوم من وجهة أخرى[3]. بينما تتقلّد اللسانيات وسام الصدارة ضمن سيميائيات **دي سوسير** إذ يرى فيها القيادة[4] العامة لكلّ الأنساق السيميائية.

إن **بورس** مثل **فرويد** S.Freud كما يعتقد **ف.بيرالدي**[5] أنتج نظرية قابلة للتطبيق تمثّل قطيعة ابستمولوجية في سياق تشكيل حقيقة علمية للعلامات، ويكاد يكون هذا الحدث مماثلا لما أنتجته محاضرات **سوسير** التي سعت إلى تأسيس منهجية علمية، وصياغة دقيقة تنتصر للشكل وللنسق الداخلي للعلامات اللسانية، منشئة بذلك قطيعة علمية مع مسار البحث العلمي السابق، وفاتحة لمجال بحث جديد يتكفل بدراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، وهذا ما يجعلنا نخلص إلى أنّ سيميائيات **بورس** وسيميائيات **سوسير** كانتا تؤمان غاية واحدة، هي البحث في العلامة على الرغم من اختلاف وجهة المنطلق الذري المنطقي البيرسي ووجهة المنطلق البنوي السوسيري ، فاختلاف المنطلقات لم ينف الوصول إلى تشكيل علم العلامات، وهذا ما يؤكد صحّة ما أقرّه **"بورس"** الذي يزعم أنّ ((بناء سيميائيات دقيقة، لا يقتصر على الطريق المنطقي فقط، وإنّما قد يتأتّى من سبل أخرى إذا كان مُبتغاها الوصول إلى النسق système)) [6] ، فهذا يعني أنّ طريق الوصول إلى النسق لا يقتصر على تقفي استدلال أوحد، وإنّما ثمّة إمكانات أخرى قد تتميّز بمنطلقاتها ومفاهيمها في الوصول إلى النسق من دون أن تعلو بمستوى تجريدي أو نظري.

---

(1) - C.S.Peirce, Ecrits sur le signe, P. 122 .

(2) طائع الحداوي، سيميائيات التأويل، الإنتاج ومنطق الدلائل، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1 2006، ص.659.

(3)- المرجع نفسه، ص. 52.

(4) - F.de Saussure, Cours de linguistique générale, Paris, éd. Payot, 1962, P.101.

(5) - F.Peraldi, la sémiotique de C.S.Peirce,in langages, № 58, 1980, p.5.

(6) -C.S.Peirce, Ecrits sur le signe, p. 245 .

إنّ القطيعة الابستمولوجية عند **بورس**، والقطيعة المنهجية عند **سوسير**، لم تقتصر على العلامة وتصنيفها كموضوع دراسة نوعي بقدر ما كان يصبو كلاهما إلى إنشاء رؤيا حداثية وتأسيس نظري لموضوع معرفة جديد.

2. مدرسة باريس والبحث الدلالي :

إنّ الاهتمام بالدلالة ليس كفيلا بتمييز "مدرسة باريس" عن باقي الاتجاهات الدلالية الأخرى . وحتى يتسنى لنا فهم مرامي هذا الاتجاه، من اللازم الارتداد إلى العمل النظري القاعدي لــ : **أ ج غريماس** (A.J.Greimas) "الدلاليات البنوية" * ، الذي أحدث أثرا كبيرا أوساط اللسانيين، وكذا الفلاسفة، انطلاقا من تقديمه رؤية نظرية جديدة للدلالة تبنّتها مجموعة من الباحثين من مختلف أنحاء العالم. فاهتمام هذا الباحث السيميائي ليس منصبا على وصف جوهر المعنى وماهيته، وإنما هو يستهدف ((توضيح شروط القبض على إنتاجه))[1] وفي هذا المقام يتجلّى تأثير **ل.ي. يامسلف** (L.H.Jelmslev) الذي يرى أنه من غير الممكن ((التعرف إلى المعنى إلا من خلال تشكّله، ولن يكون وجوده علميا إلا به))[2] لكن هل يقتصر هذا التشكّل على النسق اللساني وحده؟ وهل تخص المقاربة السيميائية النص الأدبي بالدراسة دون سواه؟ إنّ "مدرسة باريس" تستهدف كل أشكال صيرورات الدوال[3] ، سواء كانت من طبيعية لسانية أو غير لسانية انطلاقا من رغبة حثيثة قي صياغة قوانين بنوية صلبة قابلة للتطبيق على كل المجموعات الدالة، لكن ألا يؤدي هذا الادعاء إلى بلوغ معرفة كلية للمجتمعات يجيب **ج .ك.كوكي**(G.C.Coquet) [4] بأنّ هذه المهمة من باب اللامعقول؛ بحيث من الاستحالة نظريا وتطبيقيا، أن نأخذ على عاتقنا وصف العالم الدلالي على كليّته، لأن ذلك يعني

* ترى السيميائية أن إينو (A.Henault) في كتابها "تاريخ السيميائيات" أن مؤلف غريماس "الدلاليات البنوية" يمثل القاعدة الاكسيوماتية لمجمل الفرضيات التي عمل غريماس على تحيينها خلال مسيرة بحثه.

(1) - A.J.Greimas, Du sens, Paris, éd. Seuil, 1970, P. 45.
(2) – L.Hjelmslev, Prolégomènes, à une théorie du langage, Paris, éd. Minuit, 1973, P. 99.
(3) – E. Landowské, Préface, in Sémiotique en jeu , à partir et autour de l'œuvre d'A.J.Greimas, sous la dir de : M. Arrivé et J.C.Coquet, Paris, éd. Hadès, 1987, P. 16.
(4) - J.C. Coquet, Sémiotique, Ecole de Paris, Paris, éd. Hachette, 1982, p.21.

الانخراط في وصف كل ثقافة كجماعة إيتنولسانية [1]. إنّ السيميائي ينطلق من فرضية أنّ ((المواضيع التي يقوم بدراستها تدل على شيء ما ، على الأقل داخل مجموعة سوسيوثقافية معطاة)) [2] بمعنى أن المقاربة السيميائية تلج فضاء الأنساق الدالة بالتحليل والدراسة، لا تصبو إلى منح وصفة شاملة وعامة قابلة للتجريب على مختلف أشكال الدلالة وتجلياتها، وإنّما هي ممارسة علمية في طور البناء كما يصرّح **لوندوفسكي** (E.Landowski) [3]، بدأ صرحها مع **غريماس** ولا يزال يعلو بفضل إسهامات سميائيي "مدرسة باريس".

3. تطوّر الدرس السيميائي:

تسعى المقاربة السيميائية إلى توخي الدقة والصياغة المنطقية، ولعلّ هذا مردّه إلى المنطلق العلمي الذي عمل كل من **ش.س.بورس** و **دو سوسير** على التأسيس له، لكن ما يميّز السيميائيات المعاصرة أيضا انفتاحها على أكثر من فضاء، فهي تستهدف دراسة الدلالة في كلّ تشكّلاتها، وفي هذا المعنى يرى **كورتاس** [4] أنّ الاتجاهات السيميائية اليوم أمست تدرج في خانة العلامات كلّ ما تجلّت فيه سمة الثقافة، كالخطابات الأدبية، والاجتماعية (القانونية والأسطورية والدينية، إلخ)، ودراسة التمثلات المشاهدة (الكتابة، والصور الثابتة، أو المتحركة، والصور الفوتوغرافية، إلخ) والتنظيمات الفضائية(الهندسة المعمارية، إلخ)، وآية القول، الأمر يتعلّق بتحليل أي نسق دلالي داخل ثقافة معيّنة.

والظاهر أن الارتداد إلى السيميائيات **دو سوسير** يجعلنا حيال علم يروم إلى جرد العلامات وإنشاء نمطية لها ولعملها داخل محيط اجتماعي ثقافي معيّن، ومن وجهة النظر هذه، يزعم **كورتاس**، أنه من الممكن أن تكون مطابقة تقريبا للسيميائيات الأنجلوسكسونية؛ على الرغم من اختلاف منطلقاتها الفكرية، لكن سيميائيات اليوم، تسعى في البدء إلى استخراج العلاقات التي تقيمها العلامات فيما بينها، ثم بعد ذلك، البحث في علاقات العوامل المكوّنة للعلامات [5] وفي

(1) – J.C. Coquet, Sémiotique, Ecole de Paris, Paris, P. 43.
(2) - Ibid., P. 43.
(3) - E. Landowské, Préface, in Sémiotique en jeu , P.16.
(4) - J.Courtés , Sémiotique de langage, France, éd. Armand Colin, 2005 , p.5.
(5) – Ibid., P.71.

المعنى ذاته يرى **إ.إيكو** (U.Eco) [1]أنّ السيميائيات تحوّلت من التفكير في العلامة إلى الاهتمام بتوليد النصوص، وتأويلها، وانزياح التأويلات، وكذا الاهتمام بالطاقات الإنتاجية، وبالدلالات المفتوحة (semiosis) . وهذا ما يجعل صفة التحوّل من أهم نعوت السيميائيات، سواء تعلّق الأمر بالموضوع السيميائي أو وسائله أو طرائق البحث فيه، فكم كان يبدو الخروج من العالم المغلق للغة، وصله بالذات المتكلّمة، والإحالة إلى السياق، من الموضوعات المقصاة لوقوفها حائلا أمام مبدأ الدراسة العلمية المحايثة، الذي أسست له "الدلاليات البنوية"، لكن مافتئ أن تحوّل هذا الإقصاء لمسائل التلفظ ودراسة حالات النفس، وما له علاقة بالتداولية مع الجيل السيميائي الثالث[2] إلى موضوعات بحث خصبة.

إنّ الرغبة في التعرف على حقيقة الخطاب، وحالات تشكّل المعنى هي العامل الرئيس المحوّل للمشروع السيميائي * الذي يرى تحقيق مقاصده في الحوار والمقارنة والتقييم[3] مع مختلف المباحث الدلالية الأخرى، ذلك لأنه ليس هناك ما يمنع من استعارة أفكار الآخرين، واستعمالها مرّة أخرى كمعلومات استكشافية [4] heuristique ، فإذا ما تتبعنا الخطاب السيميائي وجدنا في مفرداته ومصطلحاته ما يحيلنا إلى اللسانيات، والرياضيات، والمنطق، والفيزياء، والتداولية، إلخ، فاللجوء إلى ألمع النتائج والطرائق العلمية هو من باب جلب أسباب التكامل والشمولية لمشروع لم يزل يؤمن بوجوب التلاقح المعرفي، واعتقاد بأنّ لا وجود لعلم منتهٍ[5] وكامل صنعته حقائق ذات صحّة مطلقة.

---

(1) - U.Eco, Sémiotique et philosophie du langage, trad, Myriem Bougaher, Paris, éd. PUF, p.13.

(2) – E.Landowski, la Societe réfléchie, in Actes sémiotique-documents, VIII, Paris, éd. Seuil, 1989, P.13.

* جاء في مقدمة القاموس السيميائي (1979) تقديم لتصور شمولي للبرنامج السيميائي ولأهم المبادئ والأسس التي تعتمد عليها "مدرسة باريس".

(3) - A.J.Greimas et J.Courtes, sémiotique, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Paris, éd. Hachette, 1979, p.III..

(4) - A.J.Greimas, Du sens, Paris, éd. Seuil, 1970, p.11.

(5) - A.J.Greimas et J.Courtes, sémiotique, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979, p.V.

4. السيميائيات في الدراسات العربية:

كثيرا ما نصادف مقالات وأبحاث مترجمة ، أو أجزاء كتب، وأحيانا محاضرات وتعاليق تصبو إلى التعريف بنظريات حديثة أو مشاريع علمية جديدة كالمشروع السيميائي، ولكن على الرغم من أهمية هذه الإسهامات وقيمتها التعليمية، إلا أنها تظل ناقصة مادامت تقدم مفصولة عن أسسها الإبستمولوجية ، وعن السياق المعرفي الذي نشأت فيه، ونتيجة هذا كلّه ، تحمل القاريء العربي إلى تحصيل قاصر ، لا يمكّنه من وضع الفروق النظرية[1] وتقاطعاتها واختلافاتها، وقد تنتهي بالكثير من الدارسين إلى إصدار أحكام نفي أو إقصاء في غياب الفهم الوافي للأصول العلمية والحجج المنطقية والمنطلقات الإبستمولوجية.

ومن البداهة بمكان أن يكون الباحث في السيميائيات كمشروع علمي حديث مشبعا بمعرفة لسانية تؤهّله من مقاربة الخطابات في أشكالها المتعدّدة، فتحقيق قفزة عربية نوعية في المجالين : السيميائي أو اللساني لن يتمّ إلا باستيعاب العلوم اللسانية الغربية والتعرّف على المدارس السيميائية على اختلافها ، وفهمها فهما وافيا ، ثم لا بد من الارتداد إلى التراث العربي اللغوي والفقهي والبلاغي ...والتعمّق فيه، حتى يتأتى لنا إنشاء صيغة واضحة لمنهج عربي لساني سيميائي قادر على الإسهام في هذا المشروع السيميائي الحديث الذي تبدو نهاياته أوسع من أن ترتسم الآن . وفي هذا الإطار يمكن أن نحتجّ برأي **أبي حامد الغزالي** في مواجهة الأحكام غير المؤسسة على العلم الوافي والدقيق إذ يقول: ((علمت يقينا أنه لا يقف على فساد نوع علم من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يتساوى أعلمهم في أصل ذلك، ثم يزيد عليه ويتجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع علي ه صاحب العلم من غور وغائلة، وإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدّعيه من فساد حقا))[2] وعساه أن يطلع على نفع ذلك العلم وسمو قيمته وإذ ذاك يكون ما يدّعيه من الفساد

---

(1) جنكراد سعيد، مدخل إلى السميائيات السردية، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، 1994، ص.5.

(2) أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال ،تح: د.جميل صليبا و د. كامل عياد، دار الأندلس، ط،2 ص.94.

والضلال مانعا لأسباب التقدم وموئدا لحدث جديد ينقلنا من الجمود والسكونية إلى أفق معرفيّ مفتوح.

ونعتقد أن مشروعا نظريا لا بد من أن يكون محاطا بأكبر قدر من صفاء الفكر حتى لا تغدو أحكامه مشدودة إلى أوهام وتصوّرات مضلّلة. ولذلك نرى بأن بناء تصوّر واضح وعميق لنظرية سيميائية عربية يضحى أمرا ممكنا إذا نحن شرعنا في قراءة المنتوج الغربي اللساني والسيميائي قراءة معمقة وبلغته الأصلية، فلا أحد يشك في نسبة هذين العلمين إلى الثقافة الغربية، وهذا ما يدفع بنا إلى فتح مجال الترجمة وتعلّم اللغات حتى يتمّ لنا التعرّف على هذه العلوم في لغاتها الأصلية، ومن جهة أخرى يجب الارتداد إلى التراث العربي اللغوي والدلالي والفقهي...إلخ وقراءته قراءة حديثة مؤسسة على تصوّر علمي يلغي أيّ تشدّد ودغمائية، ذلك أن الالتزام بتصور شديد الوفاء للتراث إلى حدّ التزمّت والانعزالية، لن يسمح باكتشاف القيمة الحقيقية للمنتوج التراثي. ولذا لا بدّ من استبدال معتقد :"إنّ الأوائل قد أتوا بما لا يمكن أن يزيد عليه الأواخر". بمعتقد يتقفى الحقيقة والمعرفة آخذا بما توسلت به علوم الآخر من أدوات معلومة، وبما توصلت إليه من نتائج أكثر علمية ويقينية.

إنّ السيميائية العربية بوسعها أن تقدم الكثير إن هي تمكّنت من الفهم الوافي للمناهج والطرائق الحديثة لسانية وسيميائية ، والارتداد بها إلى المنتوج التراثي حتى يتسنى لها بناء نظرية سيميائية عربية .فلا يجب الاكتفاء بنقل المفاهيم والمصطلحات في محاولة حلّ قضايانا ومقاربة خطاباتنا، وإنّما نحن مدعوّون إلى وجوب التفاعل مع هذه النظريات من خلال استيعاب أسسها الفلسفية ومرتكزاتها المعرفية، ثم البحث عما يمكن أن يكون السند العلمي الأنفع لنظرية سميائية مميّزة، عوض الانغلاق ضمن تصوّر يمنع أيّ جدّة أو تحوّل في المعرفة أو الموضوع أو المنهج أو المفاهيم.

1.4. كورتاس في البحث السيميائي العربي :

قطعت السيميائيات شوطا عظيما في تجديد مناهج دراسة الخطابات، وإعادة النظر في مقاربة قضايا الدلالة، من خلال تغيير الوعي النقدي، والثورة على القراءات الانطباعية الكلاسيكية التي تستند إلى الوصف المباشر للوقائع النصّية، أو التحليل المؤسس على الانفعال العرضي، وحتى يتسنى لنا بلوغ استيعاب متصورات النظرية السيميائية، أمسى من المفروض الإحاطة بالأصول النظرية للسيميائيات[1] ، ودراسة الأعمال التي شيّدها[2]، وشكّلت مرتكزاتها.

وإذا كانت بدايات التأسيس مع **غريماس** تفرض سيميائيات صلبة dure وصارمة[3] وتُبدي احتراسا كبيرا من التعامل مع التأويلات الدلالية الأخرى، فإننا نلفي عند **جوزيف كورتاس** سيميائيات أكثر نعومة douce ، وأكثر انفتاحا على مختلف البحوث الدلالية[4]؛ بحيث يعتمد في منهجيته السيميائية على المقاربة الوصفية العلمية التي تتكئ على الاستقراء والاستنباط من خلال طريقة تعليمية مبسّطة تستهدف بالأساس عرض المفاهيم السيميائية وشرحها، والاعتماد على التطبيقات المختلفة على خطابات متنوعة.

إنّ ترجمة مؤلفات هذا السيميائي وتخصيص أعماله بالدراسة، وتتبع تطبيقاته المختلفة كان له أثر كبير ومزيّة عظيمة في بسط المعرفة السيميائية في فضاء الدراسات العربية، بحيث شرع بعض الدارسين السيميائيين في الآونة الأخيرة في ترجمة بعض مؤلفات هذا السيميائي[5] ونهج بعضهم[6] نهجه في مقاربة خطابات مختلفة، ولا نجد تبريرا لهذا التروع إلى أعمال هذا السيميائي ومؤلفاته إلا في صفة الوضوح والبساطة والسهولة التي تُنعت بها أغلب دراساته؛ ذلك لأن من المهام الأساسية

---

(1) - يرى ك. زلبربرج C.Zilberbreg في كتابه : Raison et poétique du sens, Paris, éd. PUF, 1988 أن من منابع السيميائيات : الإرث السوسيري، ومدرسة براغ، وأعمال يامسليف وبروندال، وتراث الشكلانيين الروس (بروب)، والإرث الفرنسي (تنيير).

(2) وبالخصوص مؤلف أ.ج.غريماس A.J.Greimas : Sémantique structurale.

(3) – J.Courtés, Du lisible au visible, Initiation à la sémiotique du texte et la langue, Bruxelles, éd. De Boeck, 1995, P. 11.

(4) – Ibid., P. 11.

(5) نذكر من المترجمين تمثيلا لا حصرا : د. جمال حضري، مدخل إلى السيميائيات السردية والخطابية، مطبعة الجسور ش.م.م، الجزائر، ط1 2007.

(6) ونخص بالذكر مؤلف د. عبد المجيد نوسي (التحليل السيميائي للخطاب الروائي)، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1 2006.

للعلم كما يزعم **يامسليف**[1] هي إيجاد وجهة نظر تجعل الأشياء أقلّ تعقيدا، وأكثر جنوحا إلى البساطة.

إنّ انتشار السيميائيات بين أوساط الدارسين والقرّاء، واعتراف وزارة التعليم الفرنسية بها، والشروع في تكوين المدرسين في أطوار التعليم المختلفة بفرنسا، لدليل على القيمة العلمية التي تميّزها عن باقي النظريات الأخرى، وإنّ حاجتنا إلى هذه المناهج العلمية تلزمنا التنقيب عن كلّ ما جدّ وظهر نفعه عند الآخر.

(1) - L.Hjelmslev, Prolégomènes, à une théorie du langage, trad , Una Conger, Paris, éd. Minuit, 1973, P. 180.

الفصـــل الأول

"مدرسة باريس"

الأصـول الشكليـة والبنويـــة

عناصر الفصل الأول

1. تعدّد الاتجاهات السيميائية

1.1 سيميائيات التواصل

2.1 سيميائيات الدلالة

1.2.1 السيميائيات واللسانيات بين العموم والخصوص

3.1 السيميائيات السردية

1.3.1 من مواصفات الباحث السيميائي

2.3.1 موضوع السيميائيات السردية

2. من مصادر السيميائيات السردية

1.2 السردية وتأثيرات بروب

1.1.2 المشروع البروبي في سيميائيات غريماس

2.2 ليفي ستراوس في السيميائيات السردية

1.1.2 ليفي ستراوس وتعميق البحث السردي

2.2.2 المكتسبات المهمة للبحث البنوي الأنتروبولوجي

1. تعدّد الاتجاهات السيميائية:

إنّ البحث في اللغة والخطاب، والعلامة يُعدّ من الموضوعات المميّزة اليوم لا لكونها موضوعات جديدة، لم يسبق أن أحاطت بها الدراسات القديمة، وإنّما مكمن الجدّة فيها هو الرؤية الحداثية، والنهج العلمي الذي خصّها بالدراسة. وفي هذا المعنى يؤكّد **أ.إيكو** U.Eco ((أنّ العودة إلى التاريخ لا يكون لفهم ما قيل فقط، ولكن ما كان يمكن أن يُقال))[1] ، كشأن ارتداد **دو سوسير** إلى العلامة اللسانية، وفهمها جيدا، واضعا لذلك بدايات نظرية لسانية شكلية صارمة، وأنموذجا علميا ما لبثت أن اقتفت آثار نهجه العلوم الاجتماعية والإنسانية.

كان مشروع **دو سوسير** السيميائي يصبو إلى وضع أسس أصلية للدرس اللساني حتى يصبح، لاحقا، أنموذجا لأنساق العلامات الأخرى، فهو يرى اللسان ((نسقا من العلامات التي تعبّر عن الأفكار، ومن ثمّة، فهو شبيه بالكتابة، وبأبجدية الصم البكم، والطقوس الرمزية، وأشكال آداب السلوك، والعلامات البحرية))[2] . وبالفعل تكفّلت اتجاهات عديدة بتحيين مرمى **دو سوسير**، ونخص بالحديث الاتجاهات الآتية:

أ- سيميائيات التواصل (sémiotique de la communication)

ب- سيميائيات الدلالة (sémiotique de la signification)

ج- السيميائيات السردية (sémiotique narrative)

(1) - U.Eco, Sémiotique et philosophie du langage, p.13.
(2) - F.de Saussure, Cours de linguistique générale , p. 33 .

1.1 سيميائيات التواصل :

إن هدف هذا الاتجاه كما ينص عليه **ج.ل.بريتو** (G. L. Priéto) هو طرح أسس علم يدرس الإشارات والتي سبق تسميته بالسيميولوجيا ،بحيث يرى أنه أمام ((فعل تواصل كلما أرسل باث إشارة(signal) ، حاول التأثير في متلقٍ)) [1]وهذا ما نلفيه عند **دو سوسير**[2] وهو يعطي تمثيلا لسيرورة العملية التكلمية، إذ يشير إلى وجوب وجود شخصين لتحقيق التواصل، ويشير كذلك إلى أنه استهدف من تمثيله الجانب الفزيائي (الموجات الصوتية)، عن الجانب الفيزيولوجي (النطقي / السمعي)، وعن الجانب النفسي كذلك (صورة منطوقة / مفهوم)، لكن الذي دأبت على تحقيقه سيميائيات التواصل هو تعدّي العلامة اللسانية إلى علامات أخرى غير لسانية؛ ولذا كان من البداهة أن تنقّح المفاهيم السوسيرية وتتمّ السيادة لمفاهيم جديدة، كمفهوم التواصل المستوحى من المدرسة الوظيفية، وكذا الاهتمام بالسياق contexte ، وفعل القصدية (action intentionnelle) والتلفظ (énonciation).

وإذا كانت سيميائيات التواصل تركز على قصدية التواصل في كل إشارة يبعث بها باث لمتلقٍ، ضمن سياق ما، ومقتضيات أحوال معيّنة، فإن سيميائيات باريس بوصفها اتجاه بحث يدرس المعنى، تستبعد الانغلاق في هذا البعد التواصلي للعلامة، وتبرز إجراءً أعم من تحديد القصديات، هو الدلالة. ويسوق **كورتاس**[3] مجموعة من العوائق التي تقف عائقا أمام من يحصر الحقل السيميائي في التواصل ؛ أوّلها صعوبة تحديد نيّة التواصل، فهل هي منحصرة في النفسي أو الاجتماعي، إلخ؟، وثانيها صعوبة تحديد المواصفات التي يتم الاعتراف على أسسها بوجود نيّة التواصل، أهي من أمر الظاهر، انطلاقا من تحديد التواصل وصفه كإرادة فعل معرفة، أم ينبغي أخذ الضمني في الحسبان مثل التواصل غير الإرادي (كمثل من ينخدع)، أو الإجباري (من خلال التهديد مثلا). ولإيضاح المعنى يقدّم **كورتاس**[4] على طريقته البيداغوجية أمثلة شارحة، فلفظة (صيدلية) على واجهة محل قد تتضمن نيّة التواصل، بحيث تبدو في شكل رسالة مبثوثة من قبل

(1) - L.Prieto , Pertinence et pratique , Paris,éd. Minuit, 1975, p.24.
(2) - F.de Saussure, Cours de linguistique générale , p.27 .
(3) - J.Courtes, Introduction à la sémiotique narrative et discussive , p.33.
(4) - - Ibid., p.33 .

صاحب المحل نحو مقاصد المُرسل إليهم المتوقعين. وأما غياب نيّة للتواصل (إرادة التواصل)، قد نلفيها في المثال الثاني[1]، وهو مثال عربات السكك الحديدية الإيطالية المتجهة إلى جنوب البلاد حيث تبدو في حالة أسوء من تلك المتجهة إلى الشمال. فهل هناك رسالة من باث تحتوي على قصد معيّن؟. إنّ هذا التوزيع للعربات لا يحمل بعدا تواصليا لكنه من المؤكد يحمل معنى ودلالة.

لا ينحصر دور اللغة أو أي نسق دال في نقل معلومة، أو خبر من جهة إلى أخرى، ومن "أنا" إلى "أنت"، وإنما من اللازم تخصيص ذلك الجانب الغائب وراء الدال المتجلّي بالدرس؛ فإذا كانت اللغة تواصلا، فإنها كذلك إنتاج للمعنى والدلالة.

وقد رأت نظريات لغوية الشيء نفسه[2] ، بحيث وُجدت في فعل التواصل محدودية تعيق من سير البحث، كالتداولية، التي ترى أن فعل اللغة يتعدى حدود التواصل، ويهتم بشروط الفعل اللغوي، وفي المعنى ذاته يرى **كورتاس** [3] أنّ هدف السيميائيات هو استكشاف المعنى، فلا يمكن أن تختزل موضوعها في وصف التواصل وحده، وإنما يجب عليها إبراز ما هو أعم من التواصل، إنها الدلالة، وبالإمكان أن نبلغ فهم موضوع السيميائيات، واستيعاب مضامينه من خلال استحضار مسار بحث سيميائيات الدلالة.

2.1 سيميائيات الدلالة:

لم تنشأ سيميائيات الدلالة انطلاقا من تقابلها وتناظرها مع سيميائيات التواصل فحسب وإنما صدرت هي الأخرى عن فهم جديد للسانيات **سوسير** ومشروعه السميولوجي، بحيث يبدو أنها وجدت في عبارات **سوسير** وهو يعطي تعريفا للسان بوصفه ((مجموعة من العلامات الدالة على أفكار)) [4] المنطلق الصريح في بسط الدرس السيميائي وفتحه لكي يشمل كل الأنساق الدالة سواء كانت لسانية أو غير لسانية، وسواء كانت محمّلة بقصدية أو بغير قصدية، يقول **بارت** ((إن موضوع السميولوجيا هو كل نسق من العلامات [...]: الصورة ،السلوكات المناسك ،

(1) - J.Courtes, Introduction à la sémiotique narrative et discussive , p.33.
(2) - A.J.Greimas et J.Courtes, Sémiotique ,dictionnaire raisonne de la théorie du langage, 1979, p.46.
(3) - J.Courtes, Introduction à la sémiotique narrative et discussive , p.33.
(4) - F.de Saussure, Cours de linguistique générale , p. 33 .

البروتوكولات...إلخ إنّها كلّها تمثّل أنساقا دالة))[1]، ولعلّ القاسم المشترك بين كل هذه الأنساق هو الدلالة.

لقد عمد **بارت** إلى اقتناء المفاهيم الأساسية للسانيات البنيوية وثمّ ذهب إلى تعميمها على كل الأنساق الدالة بحيث يعد مؤلفه "مبادئ السميولوجيا"(1964) من الأعمال السميائية الأولى التي تجلّت فيها دقّة المفاهيم السيميائية ووضوحها[2] ، وإذا كانت العلامة في منظور السيميائيات الدلالية أشمل من أن تكون من طبيعة لسانية فقط ، أو أن تكون تواصلا قصديا ، فهي أوسع من أن تنحصر دلالتها في مدلول معيّن .فأين نحدّد التواصل إذا كانت العلامة تنتمي إلى مجال الهندسة والعمران ؟ ، وهل توزيع المساحات الخضراء والبنايات الحكومية تفترض باثا معينا كما تفترضها الخطاطة الكلاسيكية للتواصل ؟

هل هناك وجود حقيقي لإرادة تواصلية[3] .وإذا اعتبرت العلامة اللسانية كوحدة بين الدال والمدلول ، كيف نفسّر الدال الواحد والمدلولات المتعددة ، أو المدلول الواحد وتعدد الدال ؟ وكيف نفسّر تحوّل كل من الدال والمدلول إلى دال يشير إلى مدلول أو ما يسمى بالإيحاء (connotation) .

وتتضح معالم التقاء سيميائيات الدلالة والسيميائيات السردية في اجتماعهما على دراسة المعنى، والأنساق الدالة، ومن واجهة أخرى، ترى السيميائيات السردية في النسق اللساني تميّزا عن باقي الأنساق الدالة الأخرى، ويبدو الاستغناء عنه واستبداله أمرا مجمعا على استحالته؛ فكل الأنساق السيميائية سواء تعلقت بالسلوكات أو الأشياء أو الصور، لا يكون لها أي معنى لولا تدخّل اللسان. وفي هذا المعنى يرى **كورتاس** أنّ جل المفاهيم الأساسية مُشتركة بين المقاربتين اللسانية والسيميائية، وهذا مردّه إلى كون ((اللغات الطبيعية، موضوع اللسانيات، تحتل موقعا تفضيليا. بفعل أن النظم الدالة قابلة للترجمة إليها وليس العكس، وبناءً على ذلك، وُجدت محاولات سحب مجموعات دالة غير لسانية إلى النسق اللساني: هكذا رأينا **رولان بارت** مجبرا على

(1) - R.Barthes, Eléments de sémiologie , introduction.
(2) - U.Eco, Sémiotique et philosophie du langage, p.272.
(3) - J.Courtes, Introduction à la sémiotique narrative et discussive , p.33.

أن يحلّل من الموضة مظهرها اللساني فقط، لأننا، داخل غير المتلفظ، لا نعرف أين نضع، ولا كيف نمفصل "الدال" و"المدلول" بدقّة))[1]. لكن السؤال المطروح في مقام الحديث عن النسق اللساني وتميّزه هو كيف حوّل **بارت** الطرح السوسيري؟ وكيف تمّ للسيميائيات السردية تبنيه.

1.2.1 اللسانيات والسيميائيات بين العموم والخصوص:

إذا ثبت أن اللغة لا تنحصر في العلامة اللسانية فقط، وإذا ثبت أن المعنى قد يتشكل عن طريق الصوت والصورة والرائحة[2] ، وإذا ثبت أن الأنساق غير اللسانية لا تستطيع الاستغناء عن النسق اللساني وعن العلامة اللسانية التي تعتبر الوحيدة القادرة على ترجمة كل الأنساق الدلالية الأخرى وتأويلها[3] ، صحّ لنا الاعتماد على رأي **"بارت"** الذي يبين تبعية السيميائيات للسانيات كونه يرى أن ((المعرفة السيميائية لا تستطيع أن تكون الآن إلا نسخة للمعرفة اللسانية)) [4]، بينما الطرح السوسيري المعتمد قبل **بارت** كان يرى في اللسانيات والعلامة اللسانية فرعا لا غير من عموم العلامات ، يقول **سوسير:** ((ليست اللسانيات سوى فرع من هذا العلم العام)) [5] الذي يشمل العلامات اللسانية والعلامات غير اللسانية على السواء.

ويتبيّن لنا أن هذا التخريج لم يلقَ معارضة من قبل الباحثين في الميدان السيميائي أو اللساني قبل **بارت**، فمن البداهة أن يكون الجزء مستغرقا في الكل ، لكن يبدو أن **بارت** اتجه إلى مراجعة هذا الطرح السوسيري ، الذي كان يبدو ذا مصداقية غير قابلة للتشكيك، إذ يقول ((أن اللسانيات ليست فرعا ، ولو كان مميّزا من علم العلامات ، بل السيميائيات هي التي تمثل فرعا من اللسانيات.)) [6] وإلا كيف يمكننا أن نتصوّر وجود سيميائيات من دون المعرفة اللسانية؟ فعلى السيميائيات أن تعتمد على اللسانيات ولا يمكنها أن تتواجد إلا بها. وبمعنى آخر، لا وجود لنسق سميائي يماثل النسق اللساني في تطوّره حتى تتخذه السيميائيات مترجما ومؤوّلا للدلالات ، ذلك

(1) - J.Courtes, Introduction à la sémiotique narrative et discussive , p.33.
(2) – A.J.Greimas, Du sens , Paris, éd. Seuil , 1970, p.49.
(3) – E.Benveniste, Problèmes de linguistique générale (2) , p.57.
(4) - R.Barthés, L'aventure sémiologique , p.19.
(5) - F.de Saussure, Cours de linguistique générale , p.33.
(6) - R.Barthes, Eléments de sémiologie , in Le degré zéro de l'écriture,éd. Gonthier,1969, introduction .

((أن المؤكد كما يقول **بنفنست** ألاّ تكون بإمكان سميولوجيا الصوت ، أواللون ، أوالصورة من أن تتشكل ف ي أصوات أو أل وان أو ص ور .إن سميولوجيا نسق غير لساني [...] لا تستطيع أن تتواجد إلا بواسطة سميولوجيا اللسان أو فيه)) [1] لكن هل لتدخل اللسان والاستعانة به تأثير على الدراسة السيميائية

يشير **بنفنست** إلى أن وجود اللسان في السميولوجيا ليس ((كموضوع تحليل وإنما كأداة تحليل فقط (...) فاللسان هو المؤوّل لكل الأنساق اللسانية وغير اللسانية.))[2] ،ويبدو من جهة أخرى أنّ للنسق اللساني وظيفة مميّزة نستشفها بالخصوص من ظاهرة التواصل.

إنّ توسع فضاء الممارسة السيميائية، واهتمامها بالأنساق اللسانية وغير اللسانية، واعتقادها بأنّ النسق اللساني هو أرقى الأنساق. يثبت انفتاح مجال السيميائيات على اتجاهات البحث الأخرى وتفاعلها معها. لكن ثمّة بعض المشكلات التي نشأت من اختيار اللسانيات، يجملها **كورتاس** في نقطتين :

1. إنّ الانتقال من اللساني إلى غير اللساني يطرح مشكلة على الخصوص في مقاربة النص المرئي (الصورة)، ذلك لأن هذا النص مختلف في طبيعته عن النص اللساني، فكيف يتسنى للسيميائيات مقاربته بجهاز المفاهيم اللسانية؟
2. إنّ المقاربة السيميائية "للصورة" لم تزل في بدايتها، وكل ما قدّم من دراسات وبالخصوص عند **ج.م.فلوش** (J.M.Floch) بإمكاننا نعته "بالتلفيق" bricolage كما يرى **كورتاس** [3]. ففي مجال علوم اللغة، ((ليس بالإمكان أن نسِم عملنا إلا "بالمحاولة" (essai) ، أو من باب "التلفيق"))، وهذا ما ينطبق على سيميائيات مدرسة"باريس"
3. وإذا كان النص المرئي "صورة" لا يزال يتأبى ويستعصي على المقاربات السيميائية، فإن من الخطأ وسم الشكل اللساني بالأكثر وضوحا وسهولة من الشكل الخرافي؛ فالصعوبة كما يرى **كورتاس** [4] تتجلى في انفتاح العلامة اللسانية على فضاء الدلالات (وبالخصوص

(1) - E.Benveniste, Problèmes de linguistique général (2) , p.57 .
(2) - Ibid., P. 57.
(3) - Ibid., P.57.
(4) – J.Courtés, Sémantique de l'énoncé : application pratique, Paris, éd. Hachette, 1989, P.265.

النص الشعري) ؛ فالقاموس محكوم عليه بأن يبقى على الدوام في تحوّل وتغيٍّر، كما أنه ليس بالإمكان معرفة كل استعمالات المفردة على اختلاف سياقات توظيفها واستعمالها.

ويتبيّن لنا أن سيميائيات **كورتاس**، وسيميائيات مدرسة "باريس" عموما، قد اتّخذت لنفسها موقفا تتقاطع فيه العلوم والدراسة سواء اللسانية أو الرياضية أو المنطقية، فموضوعها يُلزمها قاعدة إبستمولوجية صلبة، وجهازا مفهوميا موضوعيا لن تبلغه إلا من خلال إنشاء حوار ومقارنة وتقييم[1] مع باقي اتجاهات البحث الأخرى، ومن خلال إقصاء لكل دغمائية وتعصّب.

3.1 السيميائيات السردية:

إنّ محاولة سرد النظريات والمناهج التي تصبو إلى تحليل النصوص والخطابات عمل يقتضي جهدا عظيما،ووقتا طويلا،ويبقى على الرغم من عظمة فائدته صعب المنال في ظل تعدّد الدراسات وتطوّرها الهائل والسريع. لكن متابعة الأبرز منها والأكثر تداولا في ميدان البحث العلمي قد تكفينا عناء الجرد والتأريخ.

وتُعد السيميائيات السردية، بوصفها مشروع بحث جديد، من أهم الدراسات الحديثة التي تحاول إنشاء نظرية عامة للأنساق الدالة. والملاحظ أن إشكاليتي الدلالة والمعنى لم تكن محط اهتمام السيميائيات العامة فقط، وإنما هناك اتجاهات بحث عديدة تناولت الموضوع نفسه : كالدلاليات التوليدية، والمنطق الأنجلوسكسوني أو التداولية الأمريكية، مع العلم أنّ لكل اتجاه من هذه الاتجاهات مستنده الإبستمولوجي الخاص ومنهجه ومفاهيمه الخاصة، والمشروع السيميائي وهو يواجه هذا التعدد، لا يرنو إلى توحيد هذه الجهود وهذه الدراسات وإنّما يسعى اقتناء كل ما يثبّت أركان موضوعية البحث وعلمية الدراسة، ذلك لأنه لا وجود لمعرفة تامة مكونة من يقينيات[1]، ولعلّ هذا الاعتقاد هو ما يبرز الموقع الاستراتيجي الذي اختارته السيميائيات.

---

(1) - A.J.Greimas et J.Courtes, Sémiotique ,dictionnaire raisonne de la théorie du langage, 1979, p.III.
(1)- Ibid ., P. IV.

1.3.1 من مواصفات الباحث السيميائي:

ليس الموضوع السيميائي هو المميز للباحث في السيميائيات، فالدلالة والمعنى من الموضوعات التي تهتم بها اتجاهات بحث عديدة، لا تقل أهمية وقيمة كنظرية الأفعال الكلامية، والبرغماتية، والمنطق الطبيعي، والدلاليات اللفظية...إلخ لكن الظاهر أنّ السيميائي عليه أن ينفرد ببعض المبادىء والمعتقدات الفكرية يلخّص بعضها **غريماس**[1] في:

- ((السيميائي لا يتردّد في استعارة أفكار الآخرين ويستعملها كمعلومات استكشافية heuristiques مرة أخرى...إنّ ما يهمه فوق أي شيء هو تلاؤم هذه الأفكار مع ما يعتقد أنه حالة علمه الآن.

- السيميائي شديد الإعجاب باللغات الشكلية، إنّه يريد أن يعطي شكلا (forme) لمفاهيمه الإجرائية ولعلاقاتها حتى تختزل إلى مجرّد حساب.

- إنّه بحاجة إلى منطق لساني يتناول على سبيل المثال الكذب والسرّ، والحيلة والصراحة، على نفس مستوى الحقيقة والخطأ، إنّه بحاجة إلى منطق تكافؤي (équivalence) وليس منطق هوية (d'identité).

- إنّه منجذب إلى النماذج المنطقية الرياضية، ذلك لأنه يريد بناء أنحاء ولغات من خلال استعارة النماذج الشكلية التي يتضاعف عددها كلّ يوم والتي تقدّم نفسها بوصفها تقنيات وقوالب.

- على السيميائي أن يمتلك قدرا من المفاهيم الإبستمولوجية المفسّرة explicite التي تسمح له (عندما يتعلق الأمر بتحليل الدلالات) بالاقتناع بتساوي équivalence النماذج التي تقترح عليه أو التي يبنيها)).

(1) - A.J.Greimas, Du sens, 1970, pp. 11 .12 .

يتبيّن لنا من هذا كلّه أنّ على السيميائي أن يكون لسانيا ومنطقيا ورياضيا وفيلسوفا حتى يرقى إلى اكتشاف الأنحاء والأنساق فيبني منطقها ويحدّد الدلالات ويصف بنياتها، والجلي أنّ صرامة التوصيات -كما تقدّم بها **غريماس** لها علاقة كبيرة بموضوع الدرس السيميائي الذي لم يزل محط اهتمام دراسات عديدة منذ زمن طويل، وذلك لأنه كالظل العائم، يستعصي على التحديد، خاصة في غياب جهاز مفهومي ومنطقي صارم، وقاعدة إبستيمية واضحة. فما مميّزات هذا الموضوع ؟

2.3.1 موضوع السميائيات السردية :

لا ينحصر مقصد السيميائيات في وصف التواصل، أوتحديد القصديات، أو إيجاد أنحاء للغات، أو وضع نمذجة للعلامات وتصنيفها، وإنّما يشمل هذا كلّه ويتعدّاه، مختزلا هذه الموضوعات في قضية المعنى[1] والدلالة.
لكن ما المعنى ؟ وكيف يمكن وصفه ؟.

إنّ هذه الأسئلة وأخرى كثيرة ومتعدّدة أنتجت افتراضات ميتافيزيقية ومحاولات فلسفية لا تحصى، لكنّها لما كانت تفتقر التحديد الواضح، والرؤية والمنهج العلميين، ولما كانت وفيّة للتعريف التقليدي للمعنى على أنّه جوهر نفسي، آلت كلّها إلى الفشل، وجعلت من مبحث الدلالة وقضية المعنى في تبعية دائمة لعلوم أخرى، كاللسانيات، وعلم الاجتماع وعلم النفس...إلخ ولم يتحقّق استقلال مبحث الدلالة إلا عندما اتخذ لنفسه رؤية جديدة ومنهجا جديدا.

والظاهر أنّ مشكلة المعنى أضحت الآن مطروحة على مستوى أعمق سواء لدى اللسانيين أو المنطقيين أو الدلاليين، ذلك أنّ وجوده لا يشكّ فيه أحد، لكن من الصعب الكلام عليه، ولتحقيق هذا المبتغى لا بدّ لنا من إيجاد لغة خالية من المعنى[2]، لكن بإمكاننا الخروج من هذه الصعوبة إذا نحن أخذنا برأي **يامسليف** الذي يرى أن المعنى في ذاته لا شكل له، ولكنّه قابل لأي تشكّل إذ يقول: ((لا نستطيع أن نتعرّف إلى المعنى إلا من خلال تشكّله، ولن يكون له تواجد

(1)- J.Courtes, Introduction à la sémiotique narrative et discussive, p.33.
(2) - A.J.Greimas, Du sens, 1970,p.8 .

علمي إلاّ به))[1] ،وفي السياق نفسه نجد كذلك **"غريماس"** يؤكّد على أنّ الكلمات ليس لها معنى، ولا وجود إلا للتقابلات والعلاقات التي تعطي تمظهرات له، ذلك أن المعنى مفهومه حدسي، وغير قابل للتّحديد؛ فلا يمكن تصوّره على أنّه ذاك الذي تحيل إليه الكلمات، بحيث ((إنّ صناعة المعاجم لم تعطِ نظرية حول طبيعة المعنى في اللغة رغم أنّها زوّدتنا بأحكام وصفية حول ما هو المعنى وما ليس بمعنى)) [2]، كما لا يمكننا تصوّر أن علوم التعبير كالفونيتيك أو الفونولوجيا تقدم لنا تحديدا لهويته، أو أن علوم المحتوى كالمعطيات الأنتولوجية أو الظاهراتية تقدم لنا معرفة يقينية على جوهره .((فطبيعة المعنى -كما ينص **غريماس** هي في علاقة وصل متينة بكيفية/ إنتاجه))[3] وشروط إنتاجه ولا يجب التساؤل عن جوهره وأصل طبيعته.

ووفق هذا التصوّر يستهدف المسعى السيميائي البحث في الخطابات والنصوص وكل الأنساق الدلالية التي يتمظهر من خلالها المعنى موسعا بذلك مجال بحثه من خلال استكشاف فرضيات استراتيجية لفهم الدلالة؛ فمن دون معرفة طبيعة المعنى، نكون قد تعلمنا معرفة أفضل، إذا اكتشفنا أين يتمظهر، وكيف يتحوّل[4] ،وهذا يعني الشروع في عملية وصفية تتتبّع تجلياته وتمظهراته. يقول **غريماس:**((إنّ السيميائيات في سعيها لوصف المعنى لا تستطيع أن تكون سوى نقل مستوى لغ وي إلى آخر، أي نقل لغة في لغة أخرى مختلفة))[5].ومن خ لال وجهة النظر هذه،تكون السيميائيات قد تحدّدت بوصفها لغة واصفة métalangage في علاقتها بعالم المعنى الذي تعتبره موضوع تحليل.

ومن وجهة أخرى يجدر بنا أن نشير من خلال عملية موازنة بين المقاربات التقليدية لنص معيّن (التي تدرج علم النفس، وعلم الاجتماع مثلا من أجل استخراج الدلالة)، وبين المقاربة السيميائية أن نؤكد أن هذه الأخيرة ترى أن مقاربة الدلالة لن تتحقّق إلاّ من خ لال مقاربات

---

(1) - L.Hjelmslef,Prolégomènes à une théorie du langage, Paris,éd. Minuit, 1971, p.99.

(2) عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال، المغرب،1999، ص. 14.

(3) - A.J.Greimas, Du sens,1970, p.17.

(4) - Ibid., 17.

(5) - Ibid., p.13.

متعدّدة ومتميّزة[1]، وتعلّقها بمستوى تحليلي لا ينفي المقاربات الأخرى كما ينص **كورتاس** وإنّما هي تعترف بإمكانية مقاربات أخرى للموضوعات نفسها، بل وتُنشيء معها علاقات تكامل في حالة تلاؤمها معها.

فالوردة مثلا، يكون تصوّرها في حالة إهدائها إلى صديق كعلامة عاطفية مختلفا تماما عن تصوّرها لدى عالم النبات أو بائع الورود فكل منهم يقدم مستوى تحليلي معيّن : جمالي/علمي/اقتصادي. لكن الإستراتيجية السيميائية لا تُقصي هذه المستويات التحليلية ولا تدّعي الشمولية وإنّما يتكفّل في مقاربتها الخطابات[2] (حكاية، صور، موسيقى، رسوم...) بدراستها من زاوية معيّنة.

وحاصل القول، أن الوصول إلى إنشاء نظرية للدلالة كالنظرية السيميائية مع **غريماس** تكون قد بدأت من تلك الافتراضات والتصوّرات التي نُصبت حول الدلالة والمعنى منذ زمن بعيد، فحطام نتائجها وخلاصاتها هو الذي أجّج نظريات اليوم؛ ذلك أنّ إنهاء افتراض يعتبر تقدّما في إطار ما يسمى بالتصوّر الافتراضي الاستنباطي في العلوم[3].وهذا ما يضع السيميائيات في مـــوقع متقدم على الهرم التطوري لعلوم الدلالة.

2. *من مصادر السيميائيات السردية*

1.2 السردية وتأثيرات بروب :

إذا كان المعنى كما أظهرنا، هو النواة التي تتشكّل من حولها الدراسة السيميائية، فإنّ السردية narrativité تعتبر من أهم الموضوعات التي يهتم بها البحث السيميائي[4]، فمن خلال كل الأشكال الخطابية الممكنة(حكايات مكتوبة أو مروية، أقصوصة، أفلام، مقالات صحفية...إلخ) تريد السيميائيات تحديد مجموع القواعد التي تسمح بالتعرّف على هذا العامل

(1) - J.Courtes, Introduction à la sémiotique narrative et discussive , p.35.
(2) - Ibid., P.35.
(3) عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال، المغرب،1999، ص. 15.
(4) - J.Courtes, Introduction à la sémiotique narrative et discussive , p.35.

المركزي في حياتنا اليومية، فعل "الحكي"[1]، والذي نجد حضوره كما يقول **بارت** في الأسطورة وفي الخرافة ، وفي الحكايات الشعبية، والأقصوصة، والملحمة والتراجيديا، والدراما،والكوميديا، والتعبير الجسدي[2]، والذي نجد حضوره كذلك سندا للدراسات الأولى المؤسسة للنظرية السردية مع **"غريماس"**، وبالخصوص العمل الرائد لـــ : **"فلاديمير بروب"** وكتابه : مرفولوجيا الحكاية الذي قدم فيه الثابت البنيوي الذي سمح لدراسات عديدة من تجاوز عتبة التعدّد النصي الهائل، ووجّهها إلى ما بعد التمظهر النصي إلى الأفعال actions والوظائف وإلى البنيات العميقة.

ويرى كثير من الباحثين في عمل **بروب** مصدرا رئيسا في تشكيل النظرية السردية مع **غريماس**[3] ذلك أنّ البحث الذي قدم عليه **"بروب"**، كان يسعى من خلاله إلى إرساء منهجية جديدة في تحليل النصوص السردية، منهجية انبنت على نتائج الدراسات والأبحاث السابقة التي اقتصرت على تقسيم الحكايات على حسب التيمات thèmes، أو على حسب موضوع المؤامرة sujet intrigues ، أو محاولة إنشاء خريطة تاريخية جغرافية كالتي قدّمها **"آرن"**[4] Aerne ومدرسته.

لم يهتم **بروب** لا بالقصة المحكية، ولا بتوزيعاتها الجغرافية، ولا بموضوعاتها أو تيماتها المتعدّدة والمختلفة، وإنّما اقتصر انشغاله على تعريف الحكاية العجيبة كجنس genre في مقابل أشكال أدبية أو شعبية أخرى، ولذلك شرع في اختيار مئة حكاية من مجموعة "أفانزييف" Afanasief المرتبة (على حسب **"آرن"** و**"توبسون"**) ضمن الحكايات العجيبة[5]. فهذا المتن والكم النّصي(100 حكاية) إنّما كان القصد منه تعميم النتائج، وتحديد تعريف للحكاية العجيبة انطلاقا من إمكانية تمييز العوامل الثابتة من المتغيّرة[6]؛ فإذا كانت الشخوص والموضوع ات

(1) - J.Courtes, Introduction à la sémiotique narrative et discussive , p.35.
(2) - R.barthes, Introduction structural du reçit, Paris, éd. seuil, 1977, p.7.
(3) - J.P.Cocorda. Morphogenèse du sens, Paris,éd. PUF, 1985, p. 208.
(4) - C.Bremond, Logique du reçit, Paris, éd. Seuil, 1973, p. 13 .
(5) - C.Calame et C.Geninasra, Les discours folklorique et mythique ,in sémiotique, l'école de Paris, p. 68.
(6) - Ibid., P.68.

objets في تغيّر مستمر من حكاية لأخرى، فإن **"بروب"** لاحظ أن الأفعال actions ثابتة لا تتغيّر، وتوصّل من خلال إجراء ترتيبي استبدالي إلى اكتشاف بنية تركيبية ثابتة : فالحكايات المئة التي كانت تمثّل متـ ـن (corpus) البحث لها شكل تتابع قانوني لوظائف متتابعة ومرتبة، ولا تتعدى 31 وظيفة[1]. بينما تتبّع التيمات ، وإحصائها، ومحاولة تصنيف الحكايات وفق الموضوعات وقد انتهت كلّها إلى التعدّد بل قد تخلق نوعا من الإشكالات[2] فيما يخص الحكايات ذات القرابة الواحدة (كحكايات **لافونتين**).

والظاهر - كما يشير إليه **"بروب"** أنّ الثابت لا يتجلّى في التمظهر الحكائي وإنّما يخص المحتوى contenu، فإذا نحن تتبعنا الأمثلة التالية :

أ) يعطي الملك سقرا للبطل، ويحمله السقر إلى مملكة أخرى.
ب)يعطي الشيخ حصانا لـــ : سوسنكو Suçenko ، يحمله الحصان إلى مملكة أخرى.
ج) يعطي الساحر مركبا لـــ : إيفان Ivan ، يحمله إلى مملكة أخرى.
د) تعطي الأميرة لـــ : إيفان Ivan خاتما ، يخرج منه أشخاص صغار، ويحملونه إلى مملكة أخرى.[3]

تجلّى لنا بوضوح أن الشخوص وما تعلق بها قد شهد اختلافا وتنوّعا من مثال لآخر، لكن أعمالهم actions ووظائفهم fonctions بقيت هي نفسها؛ ذلك لأننا لاحظنا تكرار أربع مرات ، ((لعمليتين متتابعتين من أجل النتيجة ذاتها، منح (don) وتحويل، بحيث المنح يؤدي إلى التحويل، وهذا الأخير يؤدي إلى مرحلة مشار إليها في الحكاية))[4].وهذا يعني أن الثابت متعلق بالوظيفة.

(1) - C.Calame et C.Geninasra, Les discours folklorique et mythique ,in sémiotique, l'école de Paris, p. 68.
(2) - C.Bremond, Logique du reçit, p. 13.
(3)- Ibid., p. 14.
(4)- Ibid., P.14.

اكتشف **بروب** منذ البداية أنّ الأفعال actions في الحكاية الخرافية في اختزال شديد في مقابل الممثلين (acteurs) المكلفين بتنفيذها، وانطلاقا من مقابلة الزوج : ثابت/ متحوّل[1] تمكّن من استخراج وظائف الشخصيات التي لا يتعدى عددها 31 وظيفة وبالطريقة ذاتها وجد أنّ الإساءة méfait كفعل action تتطابق مع ما لا يقل على 19 تمظهرا أو عبارات تصويرية مختلفة[2] ، فبالإمكان أن يتشكل الثابت (الوظيفة) ويتمظهر في تشكيلات مختلفة ومتعدّدة.

والجدير بالملاحظة، أنّ الحكاية الخرافية ((ليست إلاّ قصّة تبرز بعض الوظائف التي تتّصف بمحدودية، وبثبات نسق التتابع، فالاختلاف الشكلي بين عدّة حكايات ينجم عمّا نختاره لكلّ منها من بين الوظائف الإحدى والثلاثين))[3] ، وليس مفروضا علينا تحديد قائمة الوظائف كلّها في الحكاية الواحدة، وإنّما تباين واختلاف وجودها من حكاية لأخرى هو المميّز لها من جهة المحتوى (contenu) في مقابل اختلاف الشخوص وتنوّع الصور figures من جهة التعبير (expression) .

وفي هذا السياق يرى **ليفي ستراوس** أنّ تواتر الوظائف غير المباشر مثله ((كأشواط partie ورق اللعب المتتابعة، حيث يعاود اللاعبون دوريا عمليات الخلط والقطع والتوزيع والتعيين واللعب وجمع الأوراق المكسوبة، أي حيث يجري تكرار القواعد نفسها رغم اختلاف التوزيعات))[4].وأما الشخصيات المكلفة بالأفعال actions فشأنهم شأن الوظائف؛ حيث نجد عددهم هو الآخر مختزل في سبع شخصيات أساسية هي :

(1) - J.Courtes, Le conte populaire : poétique et mythologie, Paris,éd. PUF, 1986, p.15 .
(2) - Ibid., P.15.
(3) ليفي ستراوس، الإناسة البنيانية (ج2)، لبنان، مركز الإنماء القومي، 1990، ص. 115.
(4) المرجع نفسه.

1. فعل المتعدي
2. فعل الواهب
3. فعل المساعد
4. فعل الأميرة
5. فعل الموكل
6. فعل البطل
7. فعل البطل المزيّف[1]

فهذا النموذج الخاص والمختزل للشخصيات من الممكن أن تتغيّر أسماؤه، وممكن أن تتنوّع تمظهراته لكن المضمون المحدّد لكل دائرة من هذه الدوائر سيظل واحدا.

والظاهر كما تزعم **إينو**، ((أن **بروب** لم يقدّم قائمتين؛ من جهة الوظائف الإحدى والثلاثين ومن أخرى الشخوص السبعة، وإنّما هي قائمة واحدة يتجلّى فيها الشخوص كمبادئ تنظيم للقائمة الممتدة، قائمة الوظائف))[2] ، وهذا كلّه كما يقول **ليفي ستراوس** ((يشكّل ضربا من الحـ ـدس الثاقب والنظر التنبؤي الذي ينتزع الإعجاب، ويجعل **بروب** موضع تقدير مـ ـن قبل جميع الذين كانوا [...] سائرين على دربه وهم لا يعلمون))[3]، فاكتشاف **بروب** ، خاصة بعد الترجمة الأمريكية سنة 1958 ، والتعريف به،سواء من طرف **ليفي ستراوس** أو **كريماس** كان فاتحة الدراسات الرائدة سواء السيميائية أو البنيوية أو الأنتروبولوجية إلخ.

(1) - V.Propp, Morphologie du conte, Paris, éd. Seuil, 1970, pp. 86 95 .
(2) - A.Henault, Histoire de la sémiotique, Paris, éd. PUF, 1992, p. 96 .
(3) - ليفي ستراوس، الإناسة البنيانية (ج2)، ص. 117 .

1.1.2 المشروع البروبي في سيميائيات غريماس:

في سعيها لجلب أسباب التكامل، ومنح نتائجها الدقّة اللازمة في مقاربة مختلف الخطابات، سعت السيميائيات السردية مع **غريماس** منذ البداية إلى قراءة مرفولوجيا **بروب** جامعة بين تثمين النتائج التي حقّقها في ميدان تحليل النّص الحكائي، والتي كانت قفزة نوعية في التأسيس لمنهج تحليلي أكثر علمية، وبين نقد بعض المفاهيم التي كانت تبدو غير متناسقة والتحليل الدقيق الهادف إلى تحديد الثابت من المتغيّر، كمفهوم "الوظيفة" الذي يعتبر مفهوما رئيسا في اللغة الواصفة عند **بروب.**

إنّ الوظيفة عند **بروب** ((هي عمل الفاعل مُعرّفا من حيث معناه في سير الحكاية))[1] ، أي أنّ الحدث يعتبر وظيفة مادام رهين سلسلة من الأحداث السابقة التي تبرّره والأحداث اللاحقة التي تنتجه، بحيث نجدها تتطابق مع شكل إنجاز ما، ((فإذا كان "رحيل البطل" يتجلّى كوظيفة مطابقة مع شكل عمل، فإنّ الافتقار manque لا يمكن اعتباره فعل faire ، وإنّما هو يشير إلى حالة état، ولذلك لا يمكن اعتباره وظيفة))[2]، وهذا معناه وجود خلل في مفهوم الوظيفة، فهل هي قائمة على وجود فعل،(والذي تتحدّد من خلاله الشخصية)، أم هي وصف لحالة état

لاحظ **غريماس** [3]أن مجموع الوظائف التي استخرجها **بروب** من متن الحكايات الخرافية، والتي قصد من خلالها إظهار الحكاية كبرنامج منظّم، هي في الحقيقة تلخيصا لمختلف مقاطع الحكاية، ولذلك من المفروض الحديث عن الملفوظ السردي الذي يأخذ الصيغة التالية:

م س = و(ع1، ع2، ع3...)

(1) - V.Propp, Morphologie du conte, Paris, éd . Seuil, 1973, p. 31.
(2) - A.J.Greimas, Les acquis et les projets, in introduction à la sémiotique narrative et discursive, p.7.
(3) - Ibid., P.7.

بحيث يبيّن **غريماس**[1] أنّ الوظيفة البروبية كـــ:"الزواج" مثلا هي جمع وحاصل ملفوظين سرديين على الأقل؛ فهي من جهة تتضمّن أن الأب (الملك) قد وهب ابنته للبطل وهذا الفعل يمثل هبةdon، وفي الوقت نفسه تشير إلى الوظيفة التعاقدية بين الطرفين : الأب والبطل، فعوض الاقتصار على مفهوم الوظيفة البروبية التي تعتبر تلخيصا توثيقيا لما نجده في نصوص الحكايات من اللازم اعتماد الملفوظ السردي (م س)، الذي يبدو ((كتمثيل تركيبي/دلالي مكثّف وواضح في الوقت نفسه،وسيأخذ شكل بنية عميقة في مقابل البنيات السطحية المتمثّلة في النصوص المحققة))[2]، فالتحوّل عن مفهوم الوظيفة يبدو توجّها إلى ذات المقصد البروبي: الثابت.

ولعلّ **ليفي ستراوس** ((أوّل من أثار الانتباه إلى وجود إسقاطات استبدالية projections paradigmatiques التي تعطي السير التركيبي syntagmatique للحكاية، وهذه الإسقاطات هي التي دفعته إلى وجوب إجراء مزاوجة بين الوظائف))[3] فالملفوظات السردية ((لا يمكن مزاوجتها من خلال التجاور النّصي، ولكن من خلال تباعدها عن بعضها البعض؛ فهذا الملفوظ يستدعي، بل يذكر نقيضه الذي سبق طرحه))[4] ، وستظهر وحدات سردية جديدة متقطّعة بالنسبة للنسيج الحكائي، لكنّها مكوّنة من علاقات استبدالية تقرّب بين المحمولات/ الوظائف كأزواج من نوع :

رحيل / عودة
وجود نقص / إلغاء النقص
إقامة المحظور / إلغاء المحظور

وداخل الخطاطة التركيبية كما يقول **غريماس**[5] تؤدي هذه الوحدات الاستبدالية دور المنظم للحكي، وتمثل الهيكلarmature، ذلك أنّ تتابع الملفوظات السردية لا يمثّل ميزة كافية للتعرّف على منظومة الحكي وإنّما الاعتراف بالإسقاطات الاستبدالية هي التي تسمح بالحديث على وجود

(1) - A.J.Greimas, Les acquis et les projets, in introduction à la sémiotique narrative et discursive, p.7.
(2) - Ibid., p. 8 .
(3) - Ibid., p. 8 .
(4) - Ibid., p. 8 .
(5) - Ibid ., p. 8 .

بنيات سردية ، ومن اللازم كذلك الإشارة إلى الملاحظات المهمّة المتعلّقة بمفهوم الشخصية البروبية، التي يبدو مفهومها في مرفولوجيا الحكاية محدّدا بواسطة دوائر العمل (sphères d'action) ، ولكن مع السيميائيات السردية ((يأخذ العامل actant مكان الشخصية التي يسميها **بروب** الشخصية الدرامية (dramatis personal) ، وينفتح بذلك مفهوم الشخصية على معنى أوسع من معنى **بروب**، ويأخذ مكانه مفهوم العامل الذي لا يقتصر على البشر فقط وإنّما على الحيوانات والأشياء والمفاهيم))[1]، بل ويأخذ أبعادا أعمق؛ ((ففي تطوّر الخطاب السردي يكون بإمكان العامل إنجاز عدّة أدوار عامليّة، وذلك لأنّه يحدّد من خلال موقعه في الترتيب المنطقي للسرد (تعريفه التركيبي)، ومن خلال توظيفه الجهاتي modal (تعريفه المرفولوجي) فلا يكون البطل بطلا إلاّ في بعض المواقع في الحكي؛ بحيث لم يكن بطلا من قبل، ولا يمكن أن يبقى بطلا من بعد))[2]، فيضحى بذلك الحديث على العامل أكثر موضوعية من الحديث عن الشخصية لدى **بروب**.

ويبدو لنا من خلال قراءات **غريماس** لمرفولوجيا **بروب** أنّ هناك إقرارا بطريقة ومنهجية فريدتين ومُميّزتين في مقاربة المحتوى contenu، وفي الوقت نفسه وجوب تطوير الجهاز المفهومي وتدقيق الإجراءات التحليلية؛ فعوض الحديث على الوظيفة وتتابعها، أو دوائ ر الفعل والشخصيات، أو النظرة الاستبدالية، من الواجب الحديث على الملفوظ السردي (م س) والخطاطة السردية، والعامل actant كمركز للاستثمار الدلالي والتفكير في مستوى آخر لتنظيم السردية، وإعادة ترتيب العمل البروبي كما يقول **غريماس** ((يفرض علينا إمكانية قراءة الخطاب السردي كبحث عن المعنى والدلالة المسندة للفعل البشري))[3] " فقيمة الأنموذج البروبي (لا تقبع في أعماق التحليلات الحاملة له، ولا في دقّة صيغه، وإنّما في ميزته الاستفزازية، وقدرته على إحياء الفرضيات،فما يميز السيميائيات السردية منذ البداية،هو تجاوز خصوصية الحكاية العجيبة)[4]، وهذا ما حقّقته باجتياحها مختلف الخطابات.

(1) - A.J.Greimas et J.Courtes, Sémiotique ,dictionnaire raisonne de la théorie du langage, p.3.
(2) - Ibid., p. 4.
(3) - A.J.Greimas, in Introduction à la sémiotique narrative et discursive , p.10.
(4) - Ibid., P10.

ويتبيّن لنا من هذا كلّه أنّ لـــ **بروب** فضلا عظيما في إرساء ركائز المنطلقات السيميائية، ففضله يبدو مماثلا لفضل **تروبتسكوي** Trobezkoi لأنّ **بروب**[1] توصّل من خلال تطبيقه لدراسة آنية، نسقية وشمولية universaliste ومن خلال رؤية ملموسة إلى بلورة بعض الميزات الثابتة (والقارة) لشكل المحتوى، تماما كما فعل **تروبتسكوي** الذي استطاع أن يستخرج الميزات الثابتة لشكل التعبير.

2.2 ليفي ستراوس في السيميائيات السردية :

إنّ النظرية السردية كما يقول **كوكوردا** تعترف بمصدرين أساسيين : ((من جهة أعمال **بروب** حول الحكاية الروسيّة، ومن جهة أخرى أبحاث **ليفي شتراوس** حول الأسطورة، فقد احتفظت م ن المصدر الأوّل بفكرة المنظومة التركيبية لمستوى فوق جملي للحـــكي واحتفظت من الثاني بفكرة المكوّن الدلالي(composante sémantique) [2])) وهذا ما يجعلنا في إطار يتعدّى التمظهر الخطابي ويتجاوزه، ويضعنا كذلك حيال المتن نفسه تقريبا، إذ ليس هناك فرق شاسع بين الحكاية والأسطورة بحيث يرى **دوميزيل**[3] إنّه قضى حياته في تحديد الفروق بين هذين الجنسين م ن دون أن يهتدي إلى نتيجة. ثمّ إنه ليس ثمة من داع جدّي لفصل الحكايات عن الأساطير، لكن بعض الباحثين **ليفي شتراوس** يرى أنّ الفرق بين هذين الجنسين يعود في المقام الأوّل إلى أن ((الحكايات مبنية على تضادات أضعف من تلك التي نجدها في الأساطير، فهي ليست تضادات كونية أو ماورائية أو طبيعية كما هي في الأساطير، بل يغلب عليها الطابع المحلّي أو المجتمعي أو الأخلاقي، كما نجد في المقام الثاني أنّ الحكاية تظل أقل خضوعا م ن الأسطورة لمقتضيات التماسك المنطقي والاستقامة الدينية والضغط الجم اعي، وذلك

(1) - A.Henault, Histoire de la sémiotique, p.98.
(2) - J.P.Cocorda. Morphogenèse du sens, p.208 .
(3) - J.C.Coquet, Sémiotique, école de Paris, p.39.

بالضبط لأنها تقوم على مصادرة مخففة لموضوعات لا تجد تحققها الفعلي إلا في الأسطورة)) [1] لكن ما الفرق بين جنس الحكاية وجنس الأسطورة ؟.

الظاهر أن اللجوء إلى المتن الحكائي أو الأسطوري إنّما يعود لكونه مبنيا(خاصة الحكائي) على مبدأين أساسيين في البحث العلمي كما لاحظ ذلك **"جون كلود كوكي"** - وهما:

1) البساطة simplicité 2) العمومية univérsalite

فالبنيات السردية في الأدب الشفوي تعرف ((بقلّة التركيب (والتعقيد) على خلاف تلك التي تنتمي إلى الأدب المكتوب، وأفضل طريقة يمكن البدء بها هي تحليل الحكاية الشعبية قبل الحكاية العالمة (conte savant)))[2] ، ولعلّه النهج الذي اتخذه **كريماس** بعد أن استخرج الأشكال الأوليّة للسرد في الفلكلور، ثم اهتم بعد ذلك بوصف بنيات نص أدبي قصير لا يتعدى 200 صفحة"الصديقان" (Deux amis de Moupassant) ، كما يبدو الأدب الشفوي من جهة أخرى منفصلا عن المتلفظ المنتج للملفوظ.

وأمّا مبدأ الشمولية univérsalite فيبدو ماثلا في الحكي الشفوي الممتد جغرافيا وتاريخيا والذي يقدّم ((ضمانا لعمومية الأشكال السردية التي بالإمكان التعرّف إليها من خلاله))[3]، ذلك أن آفاق السيميائيات السردية ابتداءً من **غريماس** وتنظيراته وتطبيقاته التأسيسية أبدت رغبة جامحة في تحديد الجامع والثابت بين كل الخطابات انطلاقا من المبدأين المذكورين (البساطة والعمومية) مستعينة بكل المفاهيم والمناهج والطرائق (اللسانية والفونولوجي ة والفلكلورية والأنتروبولوجية...إلخ) التي بوسعها أن تذلل الوصول إلى البنيات القاعدية، الأولية المتحكمة في توليد الدلالة.

---

(1) ليفي ستراوس، الإناسة البنيانية (ج2)، ص. 118 .

(2) - J.C.Coquet, Sémiotique, école de Paris, p.35.

(3) - A.J.Greimas, Un problème de sémiotique narrative :les objets de valeurs, langage, №31, 1973, p.13 .

ويتبيّن لنا بعد الاطلاع على نقد **ليفي شتراوس** لمرفولوجيا **بروب**، وقراءة **غريماس** لكليهما أن هناك مسارا رابطا بين هذه المشاريع على اختلافها، بحيث يبدو من المستحيل دراسة الأصـ ـول السيميائية الفرنسية دون الارتداد إلى المبحث الفلكلوري مع **بروب** والمبحث الأنتروبولوجي البنيوي مع **ليفي ستراوس ودوميزيل.**

فإذا كنا قد حاولنا مع المبحث الأول التعرّف ولو جزئيا إلى منظومة تركيبية للحكي تتجاوز إطار الجملة وترتبط بتمفصلات المجموعات السردية الواسعة مركزين- لتحقيق ذلك - على أصول المفاهيم (الوظيفة ، العامل، الزوج :الثابت /المتحوّل) ، بقي من اللازم التعريف بالمنهج البنيوي الذي اتخذه **ليفي ستراوس** من أجل بلوغ منظومة الخطاب الأسطوري من خلال إبراز أهم المفاهيم التي استعان بها.

1.2.2 ليفي ستراوس وتعميق البحث السيميائي السردي :

لا يعترف البحث السيميائي بحدود الجملة، وإن كان يثمّن المقاربات اللسانية، ويرى فيها الأنموذج العلمي ومثال الدقّة، فهو يرى أن البنيات العاملية مثلا لا توجد على المستوى الجملي، وإنّما لها حقيقة سردية تماما كالحقيقة اللسانية التي تشكل ظاهرها اللفظي، فالتحليلات البنيوية للحكي تتخذ من الأساطير والحكايات العجيبة، والتراجيديات والروايات...إلخ متونا لها تماما كاتخاذ اللسانيات الجملة موضوع بحثها، وفي هذا الإطار الذي يسميه **جوزيف كورتاس** "بلسانيات الخطاب" ((لا يبدو هذا الأخير (الخطاب) كـــ : كلّ مميّز "tout spécifique" قابل للتحليل شكليا كما هو الشأن عند **"هاريس"**، وإنّما كما ينص القاموس السيميائي يتجلى الخطاب كـــ : كلّ دلالي "tout signification" فالاهتمام قد تم نقله إذا من علم التركيب للبنيات السطحية إلى البنيات التحتية المنطقية الدلالية(ما بعد الجملة)))[1]. والجدير بالذكر أنّ اللسانيات أبدت قصورا عن تقديم إجابات حول منظومة الوحدات التركيبية الكبرى، والفضـ ـل

[1]- J.C.Coquet, Sémiotique , école de Paris, p.33.

الكبير في استكشاف الجانب البنيوي العميق للخطابات إنّما يعود إلى ميدان الفلكلور والأنتوبولوجيا، بحيث كان من اللازم تجاوز البنيات السطحية الخطابية وتعدّيها إلى ((البنيات العميقة التي يسميها **غريماس** بالبنيات السيميائية السردية، ذلك أنّ فائدة هذا الإجراء مزدوج يسمح بـــ :

1) إظهار أن الخطابات الإيحائية (غير التصويرية) سواء فلسفية كانت أو سياسية أو علمية، هي كذلك منظمة بواسطة بنيات تماثلية analogues .

2) إنّ البنيات السيميائية السردية العميقة هي كذلك بنيات معاشة vécues من خلال الانفعالات والأيديولوجيات والأفعال والحلم ...إلخ.

وهذان الإجراءان يقودان إلى اعتناق فكرة **جيلبرت دوران** Gilbert Durant الذي يرى أنّ البنيات السيميائية السردية هي " بنيات أنتروبولوجية للخيالي"، ويضحى بذلك من اللازم إنشاء نحو يتعرّف على هذه البنيات))[1]، ولا يجب أن تبقى في حجز التعدّد والاختلاف.

ولم يزل البحث السيميائي معترفا بفضل **بروب** الذي مكّنه من التعرف على تركيبة علم التركيب للنحو السيميائي السردي العميق ، بحيث سعى كل من **ليفي ستراوس** و**غريماس** إلى تعميق منهجية **بروب** وتفصيل مفاهيمه فاتحين بذلك طريقا جديدة بتصريحها عن القواعد البنيوية الصارمة التي لا تقبل إلاّ عددا محدودا من النتائج، والتي تنظّم تركيبة كل حكايات الجينات المنقولة بواسطة التقليد الشفوي الروسي (والشعوب الأخرى)، ((لكن فضل التعريف بالتركيبة الدلالية لهذا النحو السيميائي السردي العميق يرجع إلى أبحاث **ليفي ستراوس** حول الأسطورة، وهي تمثّل الجزء الأكثر صعوبة وتعقيدا))[2] مقارنة بالأوّل، فبعد قراءة معمّقة لمقاربة **ليفي ستراوس** البنيوية، وجد القاموس السيميائي أنّ تأويل أسطورة أوديب Oedipe من طرف **ليفي ستراوس** ((سمحت بالتعرّف في أعماق الخطاب، على بنيات سيميائية تمتلك علما تركيبيا syntaxe ودلاليات أساسية، وفي الوقت نفسه يكون هذا التأويل قد أهمل خصوصية الخطاب الأسطوري .

(1) - J.P.Cocorda. Morphogenèse du sens, pp. 48 . 49.
(2) - Ibid.,P.49.

ذلك أنّ بنيات سيميائية مشابهة تسيّر ك ل الخطابات : (الشعرية ، والخيالية oniriques ...إلخ))[1]،وهذا يعني إمكانية دراسة خطابات أخرى غير الأسطورة.

وقد قدّم **غريماس** في كتابه " المعنى"[2] تحليلا مفصّلا لأسطورة **"بوروروا"** Bororo مظهرا الطريقة التي تتوزّع بواسطتها المستويات التنظيمية للحكي، فالمضامين العميقة ف ي المستوى الاستبدالي تدرج ما يسميه **ليفي ستراوس** بـــ : "السنن" code ((وهو عبارة عن بنية شكلية تتميّز بكونها مشكّلة من عدد قليل من التصنيفات السيمية (sémes) 2) وتتميّز كذلك بأنّها تقبل التعالق فيما بينها وتنتج بذلك سيميمات (sémémes)، وتسمح هذه الأخيرة بالتعرف على مجموع المضامين المطروحة التي تنتمي إلى البُعد المخت مار في العالم الأسطوري))[3] فالسيم (séme) كما جاء في القاموس السيميائي[4] يعتبر الوحدة الصغرى للدلالة على مستوى المحتوى (contenu) ، وتعتبر السيمات (semes) عوامل مكونة للسيميمات (sémémes) ، تماما كتشكل الفونيمات (phonemes) من الفيمات (phemes) على مستوى التعبير (expression) ، ففي أسطورة **"بوروروا"** Bororo المتخذة كمرجع ((نجد أنّ سنن التصنيفات الغذائية مثلا مطروح بواسطة تراتبية تقابلية :

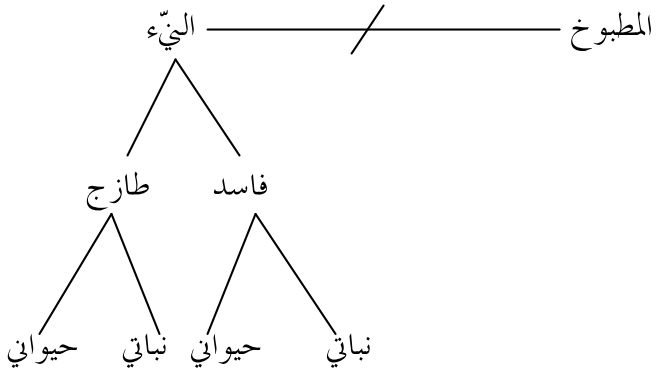

(1) - J.P.Cocorda. Morphogenèse du sens, p.211.
(2) - A.J.Greimas, Du sens ,1970, p.198.
(3) - A.J.Greimas, Du sens ,1970, p.196 .
(4) - A.J.Greimas et J.Courtes, Sémiotique ,dictionnaire raisonne de la théorie du langage, 1979, p.332.

فالسيم يولّد سيميمات مثل : " نيّء + طازج + حيواني " ، أو" نيّء + طازج + نباتي " ويبيّن **ليفي ستراوس** أنّ هذه السيميمات تتكفل بها لكسيمات وفق التطابق التالي :

" نيّء + طازج + حيواني " ⟵ فهد
" نيّء + طازج + نباتي " ⟵ غزال
" نيّء + فاسد + حيواني "⟵ نسر
" نيّء + فاسد + نباتي " ⟵ سلحفاة

وهذه اللكسيمات (أوالممثلون) تعمل من جهة ، كحامل للسيميمات المنبثقة عن السنن، ومن جهة أخرى تعمل كعوامل (actants) ، والأكثر تمظهرا من هذه اللكسيمات (من خلال ميزاته التصويرية) يحوّل إلى التركيبة الخطابية ويعتبر بذلك غير ملائم للمنطق العميق))[1]، فإنشاء ((عمل علمي كما تقول **إينو** يفرض التركيز على العلاقات الأكثر تجريدا والتي تسمح بمقابلة جزء مع جزء آخر من النص، ذلك لأن هذه العلاقات أسست من خلال تطور وامتداد الميزات Traits ذات التصنيفات المقابلة))[2]وتبدو الدلالة أكثر انجذابا إلى شكل المحتوى من شكل التعبير.

إنّ البحث الدلالي لا يُبدي اهتماما كبيرا بشكل المتون المدروسة، وإنما تعمل ((الدلاليات العميقة بطريقة سياقية contextuelle، ومجملة globale، فهي تختار في الصور اللفظية السطحية ميزات دلالية (سيمات sèmes) خاصة، ولكن المضامين التي تمفصلها (حياة / موت ، طبيعة / ثقافة،رجل / امرأة، إلهي / إنساني...إلخ) ليست دلالات مرجعية معرّفة وإنّما هي عبارة عن انشغالات (prégnance) نفسية "تعطي معنى للحياة"))[3]، وفي هذا الإطار يبدو من اللازم التمييز بين السيمات التي يمكننا استخراجها من المضامين المتمظهرة للحكي وبين سيمات البنية العميقة، فمن خلال التحليل الذي قدّمه **ليفي ستراوس** لأسطورة **بوروورو** Bororo حـ ول النيئ والمطبوخ نجد أنّ السيمات المحايثة المصنفة والمرتبة ترجـ ع إلى

(1)- J.P.Cocorda. Morphogenèse du sens , p.212.
(2) - A.Henault, Histoire de la sémiotique , p.105.
(3) - J.P.Cocorda. Morphogenèse du sens , p.50.

السنن code [1]، ومن الواجب إعادة بنائها من خلال لسانيات واصفة métalinguistique

والظاهر أنّ ((عملية وصف المحتوى يجب أن تنشئ لنفسها مصطلحات، ونسقا مرجعيا متناسقا، كما ينص **غريماس**، وهذه المصطلحات هي عبارة عن لغة واصفة ذات طابع علمي))[2] كاللغة الواصفة المتخذة من طرف البحث الأنتروبولوجي لدى **ليفي ستراوس** و **دوميزيل**، وكان يبدو من البداهة تمديد مكاسب هذا البحث والاستفادة من مفاهيمه وطرائقه مادام أنّه يلتقي مع البحث السيميائي السردي في المقصد الواحد : المنظومة الدلالية العميقة.

يظل التقابل الثنائي من المفاهيم الإجرائية الرئيسة في التحليل البنيوي الذي جذب انتباه السيميائيين؛ فاستنادا إلى الأنموذج الفونولوجي تمكّن التحليل الأنتوبولوجي (وبعده السيميائي) من بناء وصف دلالي، ((ففي المستوى المحايث وفي عمق مستوى التمظهر اللساني، أين تنتظم الوحدات المركبة complexes ، أو الأوليّة المكوّنة لسان، نجد علاقة تجانس homologie تسمح بتمثيل منظومتها : ذلك أنّ علاقة الفونيمات (الوحدات المركبة للعبارة) بـــ : الفيمات phemes (الوحدات الأولية للعبارة)، كعلاقة السيمات (الوحدات المركبة للمضمون) بالسيميمات))[3]، وهذا ما يجعل أسلوب وصف الدلالة مشابها للنهج الفونولوجي.

الملاحظ أنّ لا معنى للسيم sème إلا بعلاقته مع سيم آخر[4]، واستثمار هذه العلاقات سواء في شكل تضاد أو تناقض، مكّنت من بناء الأنموذج الكريماسي المتمثل في المربع السيميائي والذي يمثل البنية الأوّلية للدلالة، ويعتبر بذلك من المفاهيم الرئيسة في المقاربة السيميائية.

ويتبيّن لنا من خلال الرجوع إلى مرفولوجيا **بروب** وبنيوية **ليفي ستراوس**، أنّ السميائيات الفرنسية ما كانت لتخطو أشواطها التأسيسية مع **غريماس**، وما كانت لتعرف التأصيل المنهجي والتطبيقات الواسعة لولا المرجعين المذكورين، بحيث تتجلّى هذه المباحث الثلاثة كاستمرارية لمشروع واحد على الرغم من اختلافها.

(1)- J.P.Cocorda. Morphogenèse du sens , p.110.
(2) - A.J.Greimas, Du sens,1970, p.133.
(3) - J.C.Coquet, Sémiotique, école de Paris, p.16.
(4) - J.P.Cocorda. Morphogenèse du sens , p.215 .

2.2.2 المكتسبات المهمّة للبحث البنيوي الأنتروبولوجي :

يبدو أنّ أعمال **ليفي ستراوس** لم يقتصر تأثيرها على الأتروبولوجيا وإنّما تجاوزها إلى ميادين أخرى: لسانية، واجتماعية، وسيميائية...إلخ . ويمكننا أن نحصي أهم هذه المكتسبات في:

- وجّه **ليفي ستراوس** التأويلات السياقية، الاجتماعية والنفسية و...إلخ إلى البحث عن الأنساق الدلالية، فيكون بذلك قد ((أسهم في تحديد منهج من شأنه أن يبرهن على أن العناصر التي تظهر بمظهر المبعثرة ليست بالضرورة كذلك، وأن التنوّع المحيّر الذي تبدو عليه الشؤون [المجتمعية] عند المعاينة التجريبية قد يخفي وراءه بعض الخصائص الثابتة وفقا لتركيبة من نوع آخر))[1] فإذا كان التمظهر الخطابي حاملا للتعدّد والاختلاف فإنّ أنساقها الدلالية المحايثة تكون هي مركز الثبات.
- يبدو النقد الموجّه إلى مرفولوجيا **بروب** من قبل **ليفي ستراوس** ذا قيمة منهجية كبيرة، فإذا كانت شكلانية **بروب** تقوم على تضاد بين الشكل والمضمون ((وترى وجوب الفصل بينهما فصلا مطلقا، إذ أن الشكل وحده هو القابل للفهم في حين أنّ المضمون ما هو إلاّ مخلّف من المخلّفات ، يفتقد لأية قيمة ذات معنى))[2] فإن **ليفي ستراوس** يرى أنّ الشكل والمضمون كليهما ((من طبيعة واحدة، ويخضعان لتحليل واحد، فالمضمون يستمد حقيقته من بنيته))[3] وكأنّه المنهج الذي نجده ماثلا في الدرس السيميائي الموجّه إلى دراسة بنيات الخطاب المتمظهرة والدلالية العميقة.

---

(1) ليفي ستراوس، الإناسة البنيانية، ص.77.

(2) - المرجع نفسه ، ص.121.

(3) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

- إنّ خصوصية مقاربة **ليفي ستراوس** كما يقول **كوكوردا** هي في ((نقل الأنموذج الفونولوجي إلى السردية بمعنى اتخاذ بعد توزيعي غير متمظهر كأصل للسردية))[1]، وهذا يعني أنّه بإمكاننا إنشاء علاقات بين علم التركيب والدلالة مما يؤدي بنا إلى تصور السردية كانعكاس للمحور الاستبدالي على المحور التركيبي.

- لقد واجه **ليفي ستراوس** التصوّر الماركسي الذي كان يرى في الأسطورة انعكاسا بسيطا للواقع الاجتماعي، وسعى إلى إنشاء منهج جديد (بنيوي) يساعدنا على فهم أفضل للخطاب الأسطوري.

- إنّ الأنتروبولوجي يعرّف عوامل نسق القرابة كما يعرف اللساني الوحدات القاعدية لنسق لساني ، ولعلّ هذا ما جعل **كريستيفا** ترى على أنّ الأنتروبولوجيا سيميائيات إذ تقول:(إن الأنتروبولوجيا البنوية هي سميائيات مادام أنها تعتبر الظواهر الأنتروبولوجية وتطبيق الطريقة الوصفية اللسانية عليها، كلغات)[2]، فكلاهما يشترك في الطريقة والنهج.

إنّ السيميائيات أضحت ((محل تساؤل المعرفة science ، حول المفهوم الأساسي للغة، وحول العلامة ، والأنساق الدالة، وتنظيمها وتحوّلها))[3] ولا تُمثل لغة التواصل المباشر اللساني إلا نسقا واحدا من بين عدّة أنساق دالّة. وإذا كان سوسير هو مؤسس الدلاليات المعاصرة من خلال نظريته للعلامة، كما يقول **"جورج مونان"** Georges Mounin [4]، فإن فضل تطور البحوث والدراسات في مجال الدلالة والمعنى والعلامة، لم يزل محط اهتمام اتجاهات بحث عديدة من أهمها مدرسة باريس السيميائية التي تعتقد اعتقادا جازما أن لا معنى لمشروع علمي إلا إذا أصبح موضوع اكتشاف جماعي، وإذا كان لـــ:**"غريماس"** الفضل في إرساء القاعدة التنظيرية لهذه المدرسة، فإن فضل اجتياحها مختلف الخطابات، وانتشار مفاهيمها ومتصوراتها بين مختلف القرّاء، واقتحامها لمختلف القضايا والإشكالات التي كانت تبدو عويصة في وقت مضى*إنما يرجع إلى

(1) -J.P.Cocorda. Morphogenèse du sens , p.204.
(2) - J.Kristiva , Le Langage cet inconnu . une initiation à la linguistique .Paris, éd. seuil ,1981, p.296.
(3) - Ibid., p.292.
(4) – G.Mounin, Clefs pour la linguistique, Paris, éd. Seghers, 1971, p. 135.

* كإشكالية التلفظ، والمرجع وحالات النفس...

أفواج كبيرة من الباحثين السيميائيين ينتشرون في أنحاء العالم، لكن يجمعهم هاجس علمية الدراسة ودقتها.

ولا يُعد **"جوزيف كورتاس"** ضمن هذا الصرح العظيم إلا لبنة بسيطة، لكن له ما يميّزه عن غيره في هذه المدرسة سواء ما تعلّق بإسهاماته التنظيرية في إنشاء القاموس السيميائي بجزأيه مع **"غريماس"**، والذي يعتبر منعطفا شديد الأهمية في تطوير مسار المتصورات والمفاهيم السيميائية، أو ما تعلق بولوجه الإشكالات والقضايا ذات الارتباط بالذاتية أو المرجع، أو ما تعلق بإسهامه في إنشاء دلاليات للحكاية العجيبة، هذا بالإضافة إلى تطبيقاته العديدة على مختلف النصوص والخطابات ومنهجيته التعليمية التي قصد من خلالها تبسيط المفاهيم السيميائية وتذليلها حتى لا تغدو المعرفة السيميائية حكرا على زمرة مخصوصة من المختصين والمهتمين بعلوم اللغة.

وإذا اكتفينا في الفصل الأول باستجلاء صلات القرابة بين السيميائيات ، وبين أنتروبولوجيا **ليفي ستراوس** ومورفولوجيا **بروب** ، فإنّنا مع الفصلين الثاني والثالث ، ومن خلال استظهار مميّزات الفعل السيميائي لـــ: **كورتاس** ، سنؤكّد هذه القرابة عن طريق المفاهيم التي تحيل إلى المبحث اللساني (كالدال، المدلول، النسق، البنية...) أو من خلال عرض البنيات العميقة والعلاقات المنطقية التي تحيل إلى المبحث الأنتروبولوجي البنوي.

الفصـــل الثـــاني

مميّزات سيميائيات جوزيف كورتاس

عناصر الفصل الثاني

I. الفعل السيميائي مع جوزيف كورتاس

1. استرتايجية كورتاس السيميائية
2. التحليل السيميائي ونوعية الخطاب
3. دلاليات الحكاية العجيبة

1.3 علاقة التيمي بالتصويري

2.3 السنن التيمي والسنن التصويري

4. إشكالية التلفظ عند كورتاس

1.4 التلفظ بين اللسانيات والسيميائيات

2.4 مستويات الدلالة

أ. الدلالة الأولية

ب. الدلالة الثانوية

3.4 التلفظ في اللسانيات

4.4 التداولية ومسألة التلفظ

5.4 التلفظ في السيميائيات

1.5.4 التلفظ عند جوزيف كورتاس

2.5.4 عامل التلفظ وعامل الملفوظ

تمهـــــــــيد

تعلمنا النظرية السيميائية - مع مدرسة باريس - أنّ هناك متسع للاستزادة الدائمة من مختلف المباحث العلمية ، و بالخصوص تلك التي عرفت مناهجها و مفاهيمها قبولا و اعترافا بين الأوساط العلمية ، إن بدقة مناهجها أو حداثة رؤاها ؛ فالإطار المفهوميّ اللّسانيّ سواء السويسريّ و اليامسليفيّ و الياكوبسونيّ ، و مرفلوجيا **بروب** ، و بنيوية **ليفي ستراوس** و النماذج المنطقية و الرياضية المختلفة - كالمربع السميائيّ و مجم وعة 4كلين - تمثل الشاهد و الدليل البيّن على الأفق النظريّ السيميائيّ المفتوح الذي يصبو في برنامجـــــــه إلى ((إنشاء نظريّة للدلالة - و ليس فقط (نظرية) تواصليّة قصديّة ،إنّها نظريّة تتكفل بالألسن و كذلك بكل اللّغات)).[1] و حتى يتسنّى تمييز هذا البرنامج عن غيره من الاتجاهات السيميائية الأخ رى* و البحوث الدلاليّة المتعددة ، جاءت التسمية " مدرسة باريس " كعلامة لسانيّة يحيل مدلولها إلى العمل النظريّ القاعديّ **لغريماس** : " الدلاليّات البنيويّة " الذي أحدث أثرا كبيرا بين أوساط اللّسانيين[2] ، و كذلك الفلاسفة ، و الذي تبنته مجموعة من الباحثين من كل أنحاء العالم انطلاقا من رؤية نظرية جديدة للدلالة ، ذلك أن مقصد النظرية السيميائيّة ((بوصفها نظرية للدلالة تهتم بتوضيح - في شكل بناء مفهوميّ - شروط القبض على إنتاج المعنى)) [2] متبعة التقليد السويسيريّ و اليامسليفيّ المبنيّ على مبدإ الاختلاف ، والتركيب الثنائي للعلامة، ثمّ إن ما يميّز هذا الاتجاه السيميائي نوعيّة المتن المستهدف الذي لم ينحصر في الخطابات اللّفظيّة ، و إنما امتدّ ليشمل كل الوقائع الدالة التي تنتجها الممارسة الإنسانية ؛ يقول **كورتاس** ((إنّ ميادين التطبيق السيميائيّ

---

(1) - J .M. Floch , Introduction quelques concepts fondamentaux en sémiotique générale , Questions de sémiotique ,(sous la dir.A.Henault), Paris,éd. PUF ,2002 , p 107.

*تشير إلى سيميائيات بورس

(2) -A.J.Greimas et J.Courtés, Sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979, p. 345.

[...] تشمل كل النشاطات الإنسانية (وحتى الحيوانيّة و النباتيّة !)))[1] و أغلب الثقافات وهذا ما دفع بالبحث السيميائي إلى الاستعانة بالمباحث التي شهدت نتائجها اعترافا بين الأوساط العلمية. ولعلّ وجود المفاهيم اللّسانيّة الخاصة ، سواء المستعارة من مباحث لسانية أو غير لسانيّة كمفهوم : العامل ، و القيمة ، و الموضوع و الكفاءة ، و الأداء و الصيغة و التلفظ ، و الأيقونيّ ة ، و السنن ، و البنية إلخ دليل بيّن على انفتاح المشروع السيميائي، هذا بالإضافة إلى المفاهيم السميائيّة المبتدعة[2] كالتشاكل ، و المحور الدلاليّ ، و السيميمات ، و البنية الأوليّة للدّلالة. ومن اللازم كذلك الإشارة إلى أن وجود هذا المشروع السيميائي وبروزه، إنما يرجع إلى إسهامات مجموعة من الباحثين السيميائيين و على رأسهم : **غريماس** (A .J. Gremas) " المنظر الأوّل لهذه المدرسة و **جوزيف كورتاس** (J. Courtés) و **كوكي** (J. C. Coquet) ، و **ميشال أريفي** (M. Arrivé)، و **كالام** (C .Calame) و **شابرول** (C.) Chabrol، و **دولورم** (J. Delorme)، و **جينينا سكا** (C. Geninasca) ، و **لندوفسكي** (E Landowski) وغيرهم.

و في سياق الحديث عن مدرسة باريس السيميائيّة ، من اللازم الإشارة إلى ذلك البعد الفاصل بين ما كانت عليه البدايات السيميائيّة مع **غريماس** خلال الستينات ، و حال المشروع السيميائيّ اليوم ؛ ذلك أن هذا المسار السيميائيّ لا يزال في حالة تحوّل مستمر ، و يبدو من الصعب حصر قائمة الحوادث التي ميّزته و حوّلت مساره ، كما يبدو تحديد الاكتشافات التي أغنت مفاهيمه و منهجياته وإحصائها أمرا مضنيا، فسبيل المعرفة السيميائية بالخصوص دائم التحوّل، منذ **غريماس**[3] واستكشافاته التي أثرت المسار السيميائي وأكسبته هذا الوجود الواسع اليوم في فضاء البحث الدلالي؛ فكم كان يبدو الاهتمام بمسألة التلفظ ، ، و الرغبات ، و حالات النفس والأيقونيّة من الموضوعات المستعصية و ذلك لإحالتها إلى خارج الملفوظ أ و بمساسها بمبدأ المحايث ة و الموضوعيّة في البحث ، لكنها ما لبثت أن تحولت إلى موضوعات رئيسة في التحليل السيميائيّ اليوم مع **"فونتانيل"** و **" جينينا سكا"** و **"كورتاس "** و غيرهم ؛ والسّبب مردّه إلى كون

(1) - J, Courtés, Sémiotique du langage, p. 69.
(2) - A. Hénault, Histoire de la sémiotique, p. 104.
(3) - J, Geninasca, Et maintenant ?, In, Lire Greimas, ,(sous la dir..Landowski), p. 57.

هذه التحوّلات تتحكم فيها إرادة معرفة جامحة (vouloir savoir) لها من الكفاءة (المفهوميّة) اللازمة التي تؤهلها من مقاربة هذه الموضوعات من دون أن تخشى الانحراف عن مسارها العلميّ .

I. الفعل السيميائيّ مع جوزيف كورتاس :

شهد البرنامج السيميائيّ تطورات عديدة ، تبدو الآن متجهة في كل الاتجاهات - كما جاء في القاموس السيميائيّ - و هذا بفضل جهود عدد كبير من الباحثين السيميائيّين الذين وجدوا بالخصوص في مؤلف " **غريماس** " : " الدلاليات البنيويّة " ، منطلقا نظ ريّا ، و قاعدة إكسيوماتيّة لمجمل الفرضيات التي عمل **غريماس** على تحيينها[1] و تبدو إسهامات " **جوزيف كورتاس** " السيميائيّة متميّزة عن غيرها بالتطبيقات النوعيّة العديدة حول مختلف الخطابات سواء أكانت لفظيّة أم غير لفظيّة ، ومن جهة ثانية محاولة استظهار الأبعاد الأسطوريّة للحكاية الشعبيّة الغرائبيّة الفرنسيّة من خلال طرح فرضية لدلاليات الحكاية العجيبة، ثم الإسهام في إنشاء دلاليات للتلفظ.

ومن اللازم إضافة إلى هذا كله ، الإشارة إلى العمل النظريّ العظيم الذي ساهم فيه **كورتـــــاس** مع **غريماس** ، و المتمثل في القاموس السيميائيّ بجزأيه (1979- 1986) ، و الذي يعتبر علامة تحول في المفاهيم السيميائيّة التي أمست في حاجة إلى تحديد لتساير البحث السيميائيّ ، و موضوعاته الجديدة ، و بالخصوص فيما يتعلق بإمكانية إنشاء سيميائيّات الرغبات ، و دلاليات للتلفظ ، و إمكانية إيجاد قاعدة نظرية تمكن من إنشاء لغة واصفة لعلم النفس (métapsychologie)[2] التي طالما حلم بها " **فرويد** ".

(1) – A. Hénault, Histoire de la sémiotique, p. 103.
(2) – Ibid ., P.103.

و الظاهر أن الثقل التنظيريّ الذي يحمله القاموس السيميائيّ ، تعتبره الباحثة السيميائية " **آن إينو** "[1] درجة ثالثة في المسار التطوريّ السيميائيّ و إسهام **جوزيف كورتاس** في هذا الإنجاز النظريّ دليل بيّن على عمق الفعل السيميائيّ لدى هذا الباحث الذي لا يرى فصلا بين التنظير و التطبيق ؛ فهو يجد - كما يلاحظ **جينيناسكا** – ((أن فاعليّة أي نظرية هي قبل أي شيء في براغماتيتها ، و هي تقتصر على الاستقبال الذي يبديه له جمهور القرّاء)) [2].فأين المزيّة إذا انحصرت السميائيات في فضاء التنظير ؟

1. إستراتيجية كورتاس السيميائية :

لقد شهد شهد القاموس السيميائيّ (1979- 1986) **لغريماس** و **كورتاس** ذيوعا مشهودا بين الأوساط العلميّة من خلال ترجمته إلى عدة لغات؛ فلم يعد الفعل السيميائيّ مقتصرا على جمهور محدد من المختصين بالنظريات اللّغويات و الأدبيّة ، و إنما أمسى موجها إلى أصناف عديدة من القّراء ، سواء أكانوا لسانيين أم علماء اجتماع ، أم علماء نفس أم صحفيين ، أم رسامين ، أم مختصين في التواصل[3] (البين ذاتي intersubjective ، و التواصل الاجتماعي والتواصل الثقافي).

و لتحقيق توسع المعرفة السيميائيّة ، و الإسهام في نشرها بين جمهور القرّاء شرع **جوزيف كورتاس** في مؤلفاته العديدة إلى بسط المفاهيم السيميائيّة الرئيسيّة ، من أجل توسيع فضاء التلقي ، و حتى لا تبقى (السيميائيّات) مقتصرة على زمرة محدودة من المختصين اللّسانيين و الأدبيين .

(1) - A. Hénault, Histoire de la sémiotique, p. 115.
(2) – J. Geninasca, Et maintenant ?, in, Lire Greimas, p. 52.
(3) – J. Courtes, Sémiotique du langage, p. 5.

إن تيارات البحث - في إطار علم اللّغة - على اختلافها ؛ كنظرية الأفع ال الكلام ة ، أو التداولية ، أو المنطق الرياضيّ ، أو الدلاليات المفرداتية (lexicale) ...إلخ ، تسعى إلى استكتشاف الدلالة و أنساقها وفق تصورات مختلفة ، و علاقتها بالسيميائيّات ليست علاقة نفي و إقصاء و إنما - كما ينص **كورتاس**[1] - هي علاقة تكامل فالمشروع السيميائي مقدم بوصفه مجموعة فرضيات وليست مسلّمات يقينية، يقول **كورتاس**: ((إنّ سيميائياتنا مقدّمة بوصفها مجموعة فرضيات نرجو منها أن تكون ملائمة لتأويل النصوص والخطابات))[2] والغلبة والبقاء في فضاء البحث الدلالي؛ للدراسات المبنية على مبدأ التفاعل والانفتاح على الاتجاهات الأخرى.

2. التحليل السيميائيّ و نوعيات الخطاب:

يبدو جليّا تميّز البرنامج السيميائيّ اليوم لدى مدرسة باريس ، و بالخصوص عند **جوزيف كورتاس** بتعدد التحاليل و المقاربات السيميائيّة لخطابات متنوّعة، سواء أكانت لفظيّة أو غير لفظيّة ذلك أنّ مصطلح " اللّغة" لا يبدو - وِفق التصور السيميائيّ - مقتصرا على المعنى اللّسانيّ،و إنّما أضحى يشمل اللّغات الطبيعيّة، وبشكل أوسع كل الأنساق التّمثيليّة الممكنة[3]. و يمكننا أن نحصي منها انطلاقا من هذا التحديد دراسة الخطابات الأدبيّة و الاجتماعيّة (قانون ، أسطورة ، عقيدة،إلخ)، و دراسة التّمثيلات المشاهدة (كتابة ، صورة ثابتة أو متحركة ، فوتوغرافيا ، إلخ) ودراسة التّنظيمات الفضائيّة (هندسة معماريّة ، إلخ)، وكذا دراسة الممارسات السيميّائيّة (موسيقى ، لباس ، مطبخ ، إلخ)، و بكلمة موجزة ، دراسة أي شيء حامل لمعنى في إطار ثقافة محدّدة.

وقد اشتملت مؤلّف ات **كورتاس** السيميائيّة على تحليلات عديدة لخطابات نوعيّة مختلفة ، منها ما هو لسانيّ ، و منها ما هو غير لسانيّ ليثبت شموليّة المقاربة السيميائيّة ، و عدم اقتصارها

(1) – J. Courtes, Analyse sémiotique du discours, p. 3.
(2) - Ibid., p. 4.
(3) – J. Courtes, Sémiotique du langage, p. 7.

عل ى النص الأدبيّ ، الذي كان يمثّل في بدايات المشروع السيميائيّ مع **غريماس** و **كوكي** [1] مركز الاهتمام . فقد قدّم كورتاس في مؤلّفه : التحليل السميائيّ للخطاب تحليلات عديدة لخطابات متنوّعة :

- تحليل سميائيّ لحكاية شعبيّة روسيّة (بابا جاغا).
- تحليل لموكب جنائزيّ.
- تحليل لقصة قصيرة "لموبسان" (الثأر vendetta) .
- تحليل لظاهرة اجتماعيّة (الإضراب).

و أما كتابه " من المقروء إلى المرئي " فقد اشتمل على تحليلين مفصلين لخطابين مختلفين :

- قصة قصيرة **"لموبسان"**(طاقم الذهب La Parure)
- شريط صور **لرابيي**:(Le basset phénomène)

وأظهر في تحليله لهذين النصين المختلفين أنّ هناك إمكانية الاعتماد عل منهجية واحدة (تركّز على شكل المضمون)[2] في مقاربة الخطابات على اختلاف طبيعتها.

واشتمل كتابه: "دلاليات الملفوظ" على:

- تحليل خطاب روائيّ (مقطع من رواية الأسد لـــ:**جوزيف كيسيل**)
- تحليل خطاب دينيّ (نصّ إنجيليّ)
- تحليل خطاب مرئي (شريط صور لـــ:**رابيي**)

كما لم تخل مؤلفاته العديدة من تحليلات سيميائيّة ؛ فقد قدم كذلك في كتابه : " سيميائيّات اللّغة " تحليلا لحكاية خرافيّة لـــ:**"لافونتين"** (الغراب و الثعلب) ، و اشتمل كتابه : "مقدمة للسيميائيّ ات السرديّة و الخطابي ة "على قراءة سيميّائيّة لحكاية شعبيّة فرنسّة (سوندريون)

(1) – A. Hénault, Questions de sémiotique, p. 96.

(2) – J. Courtes, Du lisible au visible, initiation à la sémiotique du texte et de l'image, Bruxelles,éd.De Boeck université, 1995 p.11.

و خصصّ كتابا لدراسـ ة المتن الحكائيّ الفرنسيّ ؛ عنونه بـــ:"الحكاية الشعبيّة: شعريّ ة و ميتولوجيا ، في محاولة منه لإنشاء دلاليات للحكاية العجيبة ،هذا من دون جرد مقالاته العديدة في مختلف المجالات التي يطول إحصاؤها، و يظهر لنا جليا أنّ إستراتيجية **كورتاس** وسعيه السيميائيّ استهدف استظهار القيمة الحقيقية للمفاهيم السيميائيّة من خلال إثبات النظريّ بالتّطبيقيّ؛ ذلك أنّ التحليلات النصّـــيّة على اختلاف اتجاهاتها و مسمياتها (تحليل السرد ، تحليل الخطاب، نحو النصّ

السيميائيّات السرديّة و الخطابيّة ...) قد تدعي كلّها ، على المستوى النظريّ ، الوصول إلى منظومة الخطابات ، كما يقول **كورتاس**[1] ، لكن لا يمكننا قياس حقيقتها الوصفيّة إلا في إطار الممارسات التطبيقيّة . و يسعى هذا السيميائيّ من خلال تحليلاته السيميائيّة على مختلف الخطابات إلى إثبات أنّ المقاربة السيميائيّة قابلة لأن تطبّق على أيّ موضوع دال ،و على أي نوع خطابيّ[2] ، فالمستوى الظاهريّ للخطاب - شكل التعبير - قد يتجلّى في أشكال مختلفة ، و تتنوع وسائل تعبيره ؛ كاعتماد النصوص الأدبيّة على الكلمة ، و اعتماد السينما على الصورة ، و اعتماد الرّسم على اللّون لكنّ المستوى الثانيّ مستوى المحتوى هو محل انتظام الدلالة، و عواملها الأوليّة.

و هذا يعني ((أنّ مواد الدال لا تمثل مركز الاهتمام ، فاللون ، أو الشكل لا يقصدان لذاتيهما ، و إنما المقصد في الوظائف التي تقيمها)) [3] ، بمعنى أن الثابت المستهدف يكمن في إطار المحتوى فهو يتعدّى تنوّع التعبير واختلافه.

و من اللازم الإشارة إلى أنه من خلال مضاعفة التّحليلات - كما يقول **كوكي** - [4] يمكننا رفع فرص تحديد هيكل موضوع المعرفة ؛ فمختلف التحليلات الأدبيّة كانت تمثل المنطق الأساسيّ في المسار التطوريّ للسيميائيات الأولية ، ((و لم تتوقف السيميائيات الأدبيّة (كما تقول **إينو**) عن كونها المخبر التجريبيّ للمصطلحات الموظفة في التطبيقات السيميائيّة الأخرى))[5] وبالخصوص ما يتصل بالمتن الحكائي .

(1) – J. Courtes,Sémiotique de l'énoncé, p.3.
(2) – J. Courtes, Analyse sémiotique du discours, p. 4.
(3) – J. C. Coquet, L école de Paris, p. 42.
(4) - Ibid., p. 40.
(5) – A. Hénault, Questions de sémiotique, p. 96.

و نخلص من هذا كله إلى أنّ الفعل السيميائيّ عند **كورتاس** تجلى في تقديم المصطلحات السيميائيّة الأساسيّة بطريقة تعليميّة ديداكتيكيّة ، و تكثيف التحليلات على مختلف النصوص و الخطابات ؛ إنما القصد منه نشر المعرفة السيميائيّة بين مختلف القرّاء . و من اللازم التنبيه كذلك على أنّ السيميائيّات تدرج ضمن ((معرفة الفعل (savoir-faire) على المستوى التحليليّ: كإظهار التناسق الداخليّ (من خلال كشف القواعد التحتيّة) لخطاب ، أو لوحة ، أو تصرف حركيّ ، أو وجبة غذائيّة ، أو إشهـ ـار ، أو شريط صور..))[1] فمن الخطأ حمل معنى التحليل السيميائي وربطه بالخطاب اللساني فقط ذلك لأن الدلالة تتعدى شكل التعبير إلى شكل المحتوى.

يسعى **كورتاس** - كما أشرنا سابقا - من خلال تحليلاته السيميائيّة على مختلف الخطابات إلى إثبات أنّ المقاربة السيميائيّة قابلة لأن تطبّق على أيّ موضوع دال ، و على أي موضوع خطابيّ ، و إنّه لا يمكن قياس القيمة الحقيقيّة لأيّ منهج إلاّ من خلال الممارسات التّطبيقيّة لكن ثمّة شيء مهم لابد من تحديده هـ و أنّ السيميائيّات أو الدلاليات - كما ينصّ **كورتاس** – ((معارف[...] تولد من خلال التّطبيقات الفعليّة المختلفة))[2] .بحيث إنّ مفهوم النظرية والتطبيق في إطار التصور السيميائي يبدوان غير منفصلين .

و يبدو جليا أن فرضية إنشاء دلاليات للحكاية العجيبة كانت مؤسّسة على دراسات عديدة و تطبيقات مختلفة (مقارنات تيميّة ، دراسات تاريخيّة ...) على المتن الحكائيّ ؛ بحيث كانت تمثل مورفولوجيا **بروب** ، و أبحاث **ليفي استراوس** ، و **دوميزيل** و **بانوفسكي** و **غريماس** السند المنهجيّ و النظريّ[3] لدلاليات الحكاية العجيبة عند **كورتاس.**

(1) – J. Courtes, Sémiotique du langage, p. 5.
(2) – Ibid., p.4.
(3) – J. Courtes, Le conte populaire : poétique et mythologie, p. 17.

3. دلاليات الحكاية العجيبة عند كورتاس :

إن العمل الرائد الذي قدّمه **بروب** ؛ مورفولوجيا الحكاية الشعبيّة ، لم يقتصر على مقارنة النصوص ، و جرد موضوعاتها ، و إنّما اهتم باستخراج شبكة العلاقات الشكليّة التحتية للحكايات ، لينتهي إلى اكتشاف أن الأفعال (actions) التي تملأ الحكايات بالإمكان تحديدها على عكس تعدد الممثلين (acteurs) ، و الاختلافات المكانية و الزمنية المؤطرة للعالم الحكائيّ ، كما أظهر **ليفي ستراوس** بأن هناك إمكانية أخرى (مزدوجة) لقراءة الأساطير فقراءتها بطريقة خطية [1] ، بوصفها توالي أحداث ، و انطلاقا من مقاربة بعضها لبعض على مستوى الارتباطات السردية ، سمح باكتشاف ذكائيتها intelligibilité من جهة و يسمح كذلك بإمكانية إنشاء نحو عام للسرد [2]. لكن هل هناك طريق أخرى يمكن إتباعها في دراسة الخطاب الحكائيّ ؟

يشير **كورتاس** في كتابه : الحكاية الشعبية : شعرية و ميتولوجيا ، أن هناك إمكانية حقيقية لإنشاء دلاليات للحكاية العجيبة مؤسسة، هي كذلك في منطلقها ع لى معرفتنا للمنظومة التركيبية للسرد ، و مؤسسة كذلك على العلاقات التقابلية العميقة ، الموج ودة بين الصور(figures) في الحكايات و هذا يعني أن هناك إمكانية أخرى لتحليل دلالي بحيث يرى **كورتاس** : ((إن قراءة عمودية ، حسب المحور الاستبدالي ومستقلة عن علاقات التتابع المنطقي للأساطير قد تخفي دلالة ذات أهمية كبيرة،لا تتجلّى إلا من خلال فحص السيرورة السردية))[3] فالحكاية العجيبة كالخطاب الأسطوريّ ((تتميز على الأقل ، بتوظيف ما نسميه في السيميائيات بالتركيبة التصويرية))[4] ، لكن ما التصويريّ و ما التيميّ ؟ و ما العلاقة التي تجمع بينهما ؟

(1) J. Courtes, Le conte populaire : poétique et mythologie, p. 17.
(2) - Ibid.,.P. 17.
(3) - Ibid.,P. 17.
(4) – J. Courtes, La dimension mythique du conte populaire merveilleux Français, in, M, Arrivé et J, C, Coquet, Sémiotique en jeu, Paris, éd. Hadés, Benjamin, 1987, p. 86.

يحدد **كورتاس** التصويريّ على أنه كل ((مدلول ، أو مضمون لسان طبيعيّ ، و بشكل أوسع ، كل نسق تمثيلي (مرئي مثلا) ، له ما يطابقه على مستوى الدال ، (أو التعبير) للعالم الطبيعي ، و الحقيقة المشاهدة)) [1]. و بالمقابل لا يبدو التيمي thématique مرتبطا مع فضاء العالم الطبيعي ، فالأمر يتعلق في التيميّ ((بالمضامين ، و مدلولات الإنسان التمثيلية التي ليس لها ما يطابقها في المرجع ، فإذا كان التصويري يتحد من خلال الإدراك perception فإن التيمي يتميّز بخاصيتة المفهومية)) [2] فتيمة /الحب/مثلا أو /الخير/ لا وجود لها في العالم المشاهد و ذلك لأنها من طبيعة مفهومية مجردة على عكس التصويري المتميز بارتباطه مع العالم الخارجي بواسطة الحواس الخمس كصورة الشمس و النجم و القمر مثلا في المتون الحكائية الفرنسية.

1.3 علاقة التيميّ بالتصويريّ:

على الرغم من اختلاف هذين المكونين الدلاليين و تقابلهما إلا أنهما يقيمان علاقات تكاملية ؛ ذلك أنه ليس بإمكان التصويري أن يرتد إلى نفسه و إنما يستدعي التيمي حتى يكتسب معنى بحيث أننا لا نلبس من أجل اللبس فقط ، و لكن من أجل إبداء تيمة معينة (الجمال ، العمل ،الغنى ...) فالتصويري يفترض التيمي ليتحقق معناه[3]، على خلاف التيمي الذي بإمكانه أن يتواجد ذاتيا (في بعض الحالات) كما هو الحال في اللّغات المجرّدة ، و بالتحديد في الخطاب الرياضي أو المنطقي أو الفلسفي ، بحيث يكون التيمي في استغناء عن التصويريّ ، و يبدو من جهة أخرى أنّ التيمة الواحدة قد تتجلى في عدة صور [4] كما قد يكون للصورة الواحدة عدة تيمات :

(1) – J. Courtes, Analyse sémiotique du discours, p. 163.
(2) - Ibid.,.P. 167.
(3) - Ibid.,. P. 167.
(4) - Ibid., p. 167.

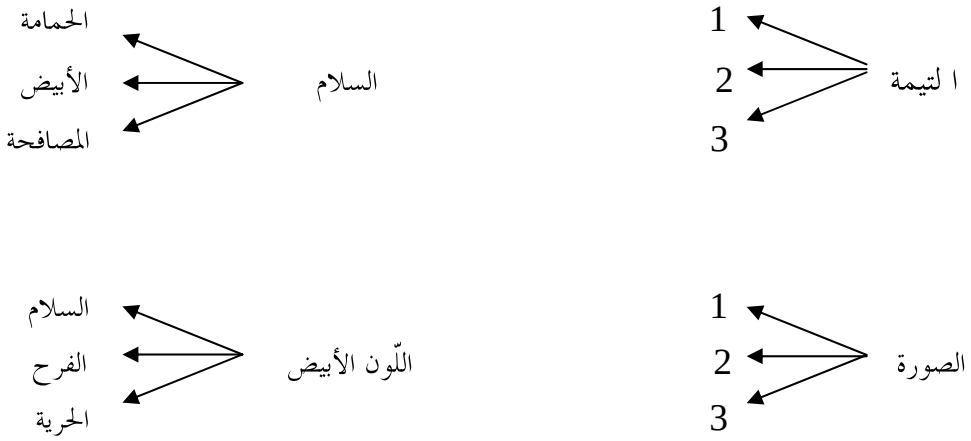

كما توصل **كورتاس**[1] إلى أن هناك تنظيم آخر للصور ، لا يتموقع على المحور التركيبي ، و إنما على المحور التوزيعي ، و هذا الأخير يسمح بمنح معنى من نوع إيحائيّ connotatif ، فمجموعة الصور الآتية : (الموجودة في المتون الحكائية العجيبة الفرنسية): شمس/قمر/نجم. و لوز/بندق/الجوز . لا يبرر وجودها فعل الصدفة أو التجميل و التزيين الأسلوبيّ ، و إنما لها ما يبررها سميائيّا ، بواسطة نوع تنظيميّ استبدالي .

(1) – J. Courtes, La dimension mythique du conte populaire merveilleux Français,in , Sémiotique en jeu, à partir et autour de l'œuvre d'A.J.Greimas, (sous la dir.M.Arrivé et J.C.Coquet), p. 96.

2.3 السنن التيمي و السنن التصويريّ:

سبق و أن أشرنا إلى أنه ليس بإمكان التصويري أن يتجه إلى نفسه لينتج معنى ، و إنما يتحتم عليه أن يكون في خدمة مستوى التيميّ الذي يتكفل بتنظيم الصور و ترتيبها على حسب وصفة من نوع تركيبي ، و هذا الإجراء التنظيمي هو المسمى بالسنن التيمي[1] code figuratif حيث يهتم بمنح تناسق بين الصور .

و على خلاف السنن التيمي ، يشتغل السنن التصويري على المحور الاستبدالي ، و لا يرتبط مع المنظومة التركيبية للخطاب ، بل يقيم علاقات بين النصوص intra textuelles و عبر النصوص transtextuelles [2] .

تنحو اهتمامات البحث السيميائيّ عند **كورتاس** إلى مقاربة الحكايات العجيبة الفرنسية متخذة إيّاها متنا لبحث دلالي يستهدف تحديد النسق الدلالي المميّز للحكاية الفرنسية، و قد توصل إلى اكتشاف سنن تصويري تحتي للصور ؛ فالنجم مثلا يعرف من خلال صفة : اللّمعان + الإضاءة + سمائي . وتعرف صورة النار بواسطة صفتي : الاحتراق + الضوء. و هذا يعني أنه ((يجب التمييز بدقة بين السنن التصويري للوحدات المتمفصلة داخل العالم الطبيعي ، و المختارة من طرف ثقافة معينة من أجل إظهاره))[3] و في هذا المعنى يقول **غريماس** : ((إن السنن نفسه يمكنه أن يشير إلى عدة فضاءات أسطورية مقارنة ، تتمظهر بطرائق مختلفة ؛ حيث يُعد السنن بشرط أن يكون مبنيا جيدا ، أنموذجا عاما يؤسس المقارنة الأسطورية نفسها))[4]ولعلّه الدافع الذي جعل التحليل السيميائي يركز عليه.

(1) - J. Courtes, Le conte populaire poétique et mythologie , p. 209.
(2) - Ibid., p. 210.
(3) – J. Courtes, La dimension mythique du conte…, p. 98.
(4) – A. J, Greimas, Du sens(1970), p. 197.

إن استخراج الصور من الحكايات العجيبة ، و ربطها وفق مقابلة استبدالية ، انطلاقا من عملية وصفية ترتكز على مبدأ التمدد extraction و الاختيار sélection و التشاكل تُظهر أن هذه الصور الموجودة في المتن الحكائيّ ليست من فعـ ـل الصدفة ، وإنما ثمّة سنن تصويري - كما يشير إليه **كورتاس**[1] يسمح لنا بمنح معنى لهذه الصور و الأصناف التصويرية catégorie figuratif التي تبدو لأوّل وهلة موظفة عفويا و اعتباطا .

كما يتجلى لنا بوضوح الاختلاف البيّن بين توظيف صورة (الشمس - القمر - النجم) في المتن الحكائيّ وتوظيفها في مؤلف في علم الفلك ؛ فكلاهما يوظف الصور نفسها ، لكن وفق علاقات خطابية مختلفة و هذا ما ينبئ بإمكانية إنشاء نمطية للخطابات يقول **كورتاس** : ((إنّه من خلال مقابلة المنظومة الاستبدالية للخطابات مع المنظومة التركيبية توصلنا إلى افتراض نوع من النمطية العاملية للخطابات ، التي تميز بين الخطابات ذات الصفة الأسطورية ، والخطابات ذات الصفة العقلية (أو الوظيفية)))[2] وهذا استنادا إلى نظرة ترتكز على السنن التصويري في تمييز الخطابات.

لقد دأب هذا السيميائي إلى توسيع حدود المتن المدروس حتى لا يبقى مقتصرا على الخطاب اللفظي ، بحيث يسعى إلى أن يشمل عمله التحليلي الخطابات غير اللفظية المنتمية إلى الفضاء الثقافي الواحد[3]. و هذا ما يؤكد التزام هذا السيميائي بمفهوم اللغة الذي يشمل كل الأنساق الدلالية .

كما يشير كذلك إلى أن هذه المقاربة الدلالية حول استكشاف المنظومة التصويرية للحكاية العجيبة ، لا تدعي الإلمام بكل الثراء الدلالي للمادة المدروسة ، و إنما هناك إمكانية بحث أخرى تتكفل بدراسة مجموع التيمات المتكررة في الحكايات، و التي ليست من طبيعة تصويرية وموجودة في عمق الحكايات بحيث يقول **كورتاس**:((إننا تركنا جانبا ، على سبيل المثال ، مجموع التيمات المتكررة ، ذات الطبيعة غير التصويرية ، في عمق السرود التقليدية : و بإمكانها أن تكون

(1) – J. Courtes, Le conte populaire poétique et mythologie, p. 213.
(2) - Ibid., p. 60.
(3) - Ibid., P.60.

موضوع بحث أخر،[...] يستهدف استظهار النسق الإكسيوماتي التحتي للحكاية العجيبة))[1]
و هذا يعني :

أ – مدى الثراء الدلالي للمتن الحكائيّ .

ب - عدم الاقتصار على التحليل الأوحد ، و الاكتفاء بالمقاربة السميائية أو اللسانية البنيوية أو الدلالية إلخ ، و إنما فتح مجال البحوث من خلال كشف سبل بحث جديدة و إقامة تبادل بين الرؤى و المقاربات المختلفة.

و من اللازم أن نشير إلى أن مصادر المقاربة السيميائية عند كورتاس تمثلت بالخصوص في بحوث **ليفي ستراوس** و مقال **غريماس** في كتابه المعنى 1970 و المعنون : " من أجل نظرية تأويل السرد الأسطوري "، بالإضافة إلى مؤلف **بروب** و بحوث **"بانوفسكي"** بحيث لم يكن من الممكن الشروع في طرح فرضيات حول إنشاء دلاليات للحكاية من دون الاستناد إلى هذه البحوث.

لكن ثمة ملمح آخر، في اعتقادنا ، يميز الفعل السيميائي لدى هذا الباحث ؛ فبالإضافة إلى الإستراتيجية التعليمية ، و التطبيقات النوعية العديدة على مختلف الخطابات ، و فرضيات إنشاء دلاليات للحكاية العجيبة ، تبدو مسألة التلفظ من الموضوعات ذات الأهمية الكبيرة ، و الحضور الواسع لدى هذا الباحث . لكن أين تكمن الإشكالية بالتحديد : في معنى التلفظ ؟ أو في طريقة مقاربته ؟ أو مكوناته التي تحيل إلى خارج الملفوظ ؟

[1]- J. Courtes, Le conte populaire poétique et mythologie, p. 213.

4. إشكالية التلفظ عـــند كورتاس

1.4. التلفظ بين اللسانيات و السيميائيات:

ليس للتلفظ مفهوم ثابت ، و متفق عليه بين أوساط اللسانيين و السيميائيين ، و إنما يبدو هذا المفهوم منفتحا على فضاءات بحث عديدة و لم يقتصر على الميدان السيميائي فقط ، ولذلك نجد مفهوما لسانيا للتلفظ وآخر سيميائيا، وإذا انتقلنا إلى علم النفس وجدنا مفهوما مختلفا تماما عن سابقيه على الرغم من الاصطلاح الواحدة .

و الظاهر أن هناك عدة إمكانات لمقاربة هذه المسألة ، بحيث نجد بعض البحوث تركز على شروط إنتاج الملفوظات ، و هي شروط ذات تنظيم اجتماعي أو اقتصادي أو تاريخي أو نفسي أو عقائدي ، إلخ . و بإمكانها أن تقدم تفسيرا أو تسهم في إنشاء تأويل مقنع للنصـ وص ، بمعنى آخر . قد يكون الارتداد إلى خارج الخطاب المدروس و سياقاته المختلفة ، خطوة ذات نفعية كبيرة من أجل تحديد أسباب وجود الخطاب و مبررات إنتاجه .

و في هذا المعنى يقدم لنا **جوزيف كورتاس**[1] تمثيلا يوضح فيه مزية هذا النوع من المقاربة التلفظية الذي يعتمد على إدراج السياق ، بحيث يرى أن قرار حقوق الإنسـ ان و المواطن المعلن 1789 كان ثمرة نقاشات حادة ، و تبدو مقاربته من خلال وضعه في إطاره التاريخي ، إجراء مهما في تحقيق الفهم الشامل .

أمست بعض النظريات اللسانية و السميائية تهتم و لو جزئيا بالسياق النفسي و الاجتماعي ، و قد تدرج بعض المواقف خارج لسانية exta-linguistique من أجل التعرف على البعد الواقع بين" القول و فعل القول" .

فأين تكمن الدلالة بالتحديد : في إطار حدود الملفوظ /النص أم خارجه الملفوظ؟

(1) – J. Courtes, Analyse sémiotique du discours, p. 246.

2.4 مستويات الدلالة:

ليست علوم اللغة الوحيدة ، من بين العلوم الإنسانية التي تناولت قضية الدلالة ؛ فالتاريخ ، و علم الاجتم اع ، و التحليل النفسي ، و ع لم النفس ، و الاتنولوجيا إلخ تسعى كلها إلى تقديم تأويلات و نظريات من أجل إظهار الدلالة و تحديد المعنى،و لذلك أمسى من اللازم التمييز بين ما يسميه **كورتاس**[1] بالدلالة الأولى و الدلالة الثانوية.

أ - الدلالة الأولى:

و هي الدلالة التي ينتهي إليها أي مستمع لحكي أو أي قارئ لقصة ، و هي الدلالة التي يتقاسمها أكبر عدد ممكن من القراء ، و تعتبر محل اهتمام التحليل السيميائي الذي ينطلق من افتراض وجود قارئ عادي (normal) توصل إلى إنشاء فهم ممتد standard و هذا الإدراك المتوسط هو الذي تسعى السيميائيات[2] إلى إعادة بنائه بواسطة إجراءاتها الخاصة.

ب - الدلالة الثانوية:

والدلالة الثانوية تتمثل في المعلومات الموسوعية التي بإمكانها إدراج تأويلات إضافية ، أكثر تركيبا و تعقيدا ؛ فعالم الاجتماع و عالم النفس و المحلل النفسي ، و المؤرخ ...إلخ، يدرجون دلالات حسب اختصاصاتهم ، و هذا ما يسمى بالدلالة الثانوية ، و من اللازم أن نشير - كما يقول **كورتاس** إلى أن هاتين الدلالتين ، رغم تميزهما ، و اختلافهما ، ليستا متقابلتي ن أو متناقضتين ، و لكنهما متكاملتان ؛ فكثيرا ما نجد المقاربات السيميائية تدرج هذه الدلالات[3] بغية التعريف بالموضوع المدروس أو تحديد أبعاده المعرفية.

---

(1) - J. Courtes, Analyse sémiotique du discours, p. 246.
(2) - Ibid., P.61.
(3) - Ibid., p. 61.

3.4 التلفظ في اللسانيات:

لقد جاء في القاموس اللساني لـ : **"دي بوا"** أن ((التلفظ هو الفعل الفردي لاستعمال اللسان ، بينما الملفوظ هو نتاج هذا الفعل ،إنه فعل من خلق المتكلم))[1] ،و هذا يعني،كما يقول **"دي بوا"** أن التلفظ مكوّن من مجموعة الشروط و الأفعال التي تؤدي إلى إنتاج ملفوظ ما، وفي هذا المعنى ،تتجلى حقيقة إشكالية التلفظ في اللسانيات ،بحيث إنها تبدو كخروج عن حدود الملفوظ ، مع العلم أن المنطلق اللساني ، منذ **سوسير** ، كان يستهدف وصف اللسان"في ذاته و من أجل ذاته"، بمعنى عزل كل العوامل التي تتعدى مجال الدوال اللفظية. لكن أضحى اكتشاف قوانين التلفظ، وآلياته ،وآثاره، إنطلاقا من الملفوظ المتحقق أمرا ملحا. فكيف يتم الجمع بين دراسة فعل إنتاج الملفوظ ومبدأ المحايثة؟

إنه من اللازم الفصل بين موضوعين اثنين، الملفوظ كنِتَاج فعل تلفظيّ ، و التلفظ كفعل إنتاج هذا الملفوظ .و إذا كانت اللسانيات قد اهتمت - وفق منهج بنيويّ ، و رؤية علمية ، و طريقة وصفية - بدراسة اللسان و أنساقه . فإن فعل استعمال اللسان أضحى موضوعا رئيسا في فضاء الدراسات اللسانيات و السيميائيات و غيرهما .بحيث أمسى لازما على اللساني إيجاد المفاهيم الخاصة و الرؤية العلمية و المقاربة الموضوعية لهذه الإشكالية التي تبدو محاطة بمسائل عدة و منفتحة على فضاءات فلسفية ، كمسألة المرجع و الحقيقة و الواقع و الذاتية.

يُعد **بنفنست** من أوائل الذين أثاروا مسألة الذاتية في مقال عنوانه: **"**الذاتية في اللغة**"**[2] و ذلك من خلال توجيه اهتمامه من اللسان إلى الخطاب ، بحيث يرى أن ((التلفظ هو توظيف اللسان بواسطة الفعل الفردي المستعمِل))[3] فمن قبل التلفظ ((لم يكن اللسان سوى إمكانية (للسان)، و بعد التلفظ، تحوّل اللسان (و تحقق) في مقطوعة من الخطاب)) [4]، و تتجلى لنا من خلال هذا التعريف مسألة صعبة و قليلا ما اهتم بها الدارسون ، و هي كيف يتشكل المعنى

(1) – J. Dubois, Dictionnaire de linguistique, p. 192.
(2) – E. Benveniste, Problèmes de linguistique générale, 1966,
(3) –Ibid., p.77.
(4) - Ibid., p.78.

في كلمات ، و هذه المسألة كما يزعم **بنفنست** [1] هي في حقيقتها فاتحة إشكالية حول جوهر المعنـ ى ، و كيفية تشكله و مراحل انتقاله، كما تبدو مسألة الذاتية في اللغة ، هي المميزة للغة بشكل عميق[2] ، بحيث لا يمكننا أن نتصور لغة من دون الفاعل المتكلم الذي يتجلّى مثلا في الأشكال اللسانية التي تشير إليه (أنا /أنت...) كما تبدو هذه المسألة من أهـ ـم مميزات اللغة دون اللسان .لكن ثمة ملاحظة لابد من التركيز عليها من أجل منع أي خروج إلى رحاب التأويلات الفلسفية ، و تتمثل في اعتبار أن الفعل اللغويّ يترك آثارا في الملفوظ ؛ آثار يسعى اللساني إلى استخراجها و تنظيمها ، و هذا يعني أن اللغة ليست ناقلا ينمحي وراء أشياء العالم ؛ بحيث تتجلى كمرآة عاكسة ، و إنما هناك وجود لفعل القول (للتلفظ) إلى جانب ما قيل (الملفوظ) . و مركز المقاربة التلفظية لا يتموقع إلا في حدود الملفوظ ، ففي إطاره تنعكس بنيته.

ومن آثاره الماثلة في الملفوظ ، و التي تحيل إليه (التلفظ) ، توظيف الضمير "أنا" الذي يحيل إلى الشخص المتكلم ، و الضمير "أنت" الذي يمثل الشخص المخاطب ، وكذلك ظروف المكان ، و ظروف الزمان ، و أسماء الإشارة التي تتعلق بموضوع التلفظ ، و أشكال أزمنة الفعل التي تعتبر من آثار التلفظ المهمة بحيث توصل من خلالها **بنفنست** إلى التمييز بين الخطاب و السرد التاريخي بحيث يقول : ((إنه من خلال اختيار أزمنة الفعل ، يتميز بوضوح الخطاب عن السرد التاريخي ، فالخطاب يوظف بحرية كل أشكال الفعل الشخصي personnelles ،و يوظف كذلك الضمير أنا/أنت أكثر من هو))[3] ، على خلاف السرد القصصي الذي يبدو فيه هذا الضمير(هو) أكثر وجودا ، كما يتجلى توظيف أزمنة الفعل : الحاضر - المستقبل * في السرد القصصي بشكل أقل[4] ، بينما يكثر توظيفها في إطار الخطاب.

---

(1) - E. Benveniste, Problèmes de linguistique générale, 1966, p. 78.

(2) - Ibid., p.161.

(3) - Ibid., p. 242.

* يقيم بنفنست مقاربته بين الخطاب و السرد التاريخي في إطار اللغة الفرنسية و نحوها

(4) - Ibid., p. 243.

يتبيّن لنا من خلال هذا كلّه انحصار التلفظ في اللسانيات في إطار الملفوظ ، فاللسانيات تتخذ منهجا مخالفا للعلوم الأخرى كعلم الاجتماع و علم النفس فيما يخص فاعل التلفظ بحيث لا تعتبر اللسانيات الفاعل معطى بسيكولوجيّ مثلا و تنطلق منه ، وإنما تعتبره بناء و تتجه إليه ، فتضحي بذلك مسألة الذاتية منحصرة في إطار الملفوظ فقط.

4.4 التداولية و مسألة التلفظ:

سبق و أن أشرنا إلى أن مسألة التلفظ كانت محط اهتمام الكثير من الدارسين ، و تناولتها بالدرس مباحث عديدة ، فعلاقة الملفوظ بالتلفظ ، و الجمل بسياقاتها و مسائل الذاتية ، و المرجع ، لم تنحصر في المجال اللساني فقط ، و إنما لها وجود في الاتجاه التداولي و بالخصوص في تلك المنتمية إلى فلاسفة أكسفورد (oxford) و التي تهتم بتعميق أفكار **أوستين** Austin و **سارل** searle لكن كيف طرحت التداولية مسألة التلفظ؟

اهتمت التداولية بالشروط المؤسسة لفعل اللغة acte de langage ، و هذا يعني معرفة كل العوامل اللازمة لتحقيق فعل اللغة ، و كذلك محاولة تفسير العمليات التي تنتج اللغة من خلالها آثارها ؛ ذلك أن أفعال اللغة ليست عبارة عن جمل بسيطة ، و إنما هي كذلك في إطار العبارات اللسانية ، ملفوظات متموقعة في سياق محدد فالعبارات اللسانية تكتسب معناها من خلال استعمالاتها و في إطار هذا المعنى يقول **سيرل**: ((إن سبب التركيز على دراسة فعل الكلام ، هو ببساطة أن كل تواصل لساني يدرج فعل الكلام ، و وحدة التواصل اللساني ليست فقط ، كما كنا نعتقدها ، الرمز أو الكلمة ، أو أثر الرمز أو أثر الكلمة أو الجملة ، و إنما هو إنتاج أو بثّ (émission) للرمز و للكلمة و للجملة خلال سيرورة الكلام .أي أن اتخاذ العلامة رسالة يعني اعتبارها كإنتاج أو كموضوع مبثوث ، بمعنى آخر ، إن إنتاج أو تشكيل جملة في حالات معينة هو عبارة عن فعل للكلام [..] ، و أفعال الكلام هي وحدات قاعدية ، أو وحدات صغرى للتواصل اللساني))[1]وهذا يعني انفتاح دراسة فعل الكلام وإنتاجه على مجالات تتعدّى الملفوظ.

(1) – J. R. Searl, Speech acts, Cambridge, 1969, p. 16.

إن مركز الإشكالية التلفظية لدى التداولية يتحدد في هذا المفهوم المتشعب ، مفهوم " فعل الكلام " ، بحيث لا تعتبر اللغة وسيلة تمثيل الواقع أو الفكر ، و إنما تسمح كذلك بتحقيق أفعال لا تتواجد إلاّ في إطار هذه المنظومة : " اللغة " بحيث إذا كان القول كان الفعل . *

أمست التداولية تهتم اليوم بمسائل مختلفة و متعددة في الوقت نفسه ؛ بحيث نجدها ، و هي تتناول مسألة التلفظ ، تحاول دراسة علاقة الملفوظ بالتلفظ ، و الجمل بسياقاتها ، و تحاول كذلك تقديم إجابات حول الذاتية و السياق ، و المرجع ، إلخ، و تكون بذلك قد طرحت هذه الإشكالية (التلفظ) ، كمسألة لسانية و فلسفية.[1] وهذا ما يجعلها تختلف عن المقاربة اللسانية لكننا ، بعد عرض مسألة التلفظ في اللسانيات و التداولية ، نتساءل عن أي الاتجاهين أكثر تأثيرا في المقاربة السيميائية للتلفظ ؟ إنّ السيميائيات تعدّ الملفوظ موضوع درسها الرئيس ، و تختار في مقاربتها مسألة التلفظ عدم الخروج عن إطار الملفوظ ، و هذا ما يجعلها تخالف وجهة النظر التداولية ، بينما تلتقي في التصور مع اللسانيات بحيث يرى **كورتاس** ((أننا نختار عدم الخروج عن النص المدروس ، و نمنع منهجيا البحث في خارج (الملفوظ) عما يمكن أن يكون المصدر الأصل))[2] ، وهنا يكمن مبدأ المحايثة والموضوعية.

5.4 التلفظ في السيميائيات:

فتح اهتمام السيميائيين بالخطاب إشكالات عدّة حول الذاتية والواقع والمرجع، يقول **فونتانيل** : ((إن السيميائيات تحولت إلى سيميائيات الخطاب عندما أعطت مكانا لفعل التلفظ ، و العمليات التلفظية ، و لم تقتصر فقط على تمثيل شخص التلفظ (السارد، الملاحظ،...) في النصّ)) [3]. لكن ما مفهوم التلفظ في السيميائيات ؟

---

* و هذه العبارة هي ترجمة لعبارة أوستين: « How to do things with words. »

(1) – V. Fillol, Vers une sémiotique de l énonciation, du lieu commun comme stratégie et des formes et/ou formation discursives comme lieu communs de l énonciation. (Dans la presse féminine), thèse de doctorat nouveau régime, université de Toulouse _le_ Mirail, 1998, p. 67.

(2) – J. Courtes, Analyse sémiotique du discours, p . 246.

(3) – J. Fontanille, Sémiotique et littérature,éd. PUF, 1999, p. 2.

لقد جاء في القاموس السيميائي **لغريماس** و **كورتاس** أن ((التلفظ محدد بوصفه ذلك المقطع الوسيط الذي يضمن افتراضات تحقق تصورات اللسان في ملفوظ خط اب)) [1]، و هذا يعني أنه لا وجود لأيّ مضامين أنتولوجية أو نفسية تخص فاعل التلفظ أو السياقات و يتجلّى لنا بوضوح مفهوم التلفظ من خلال ملخص **لفلاديمير كريسينسكي**[2] حول أهم محاور التلفظ عند كريماس و يحصيها في :

1 ((إن التلفظ ليس شكلا أو عبارة لغوية خاصة متعلقة بالنص.
2 إن التلفظ لا يتطابق مع تواصل خاص ، له مميزات تجعله فصيلة مستقلة عن الملفوظ.
3 الفاعل الذي يفترضه التلفظ هو فاعل منطقي و ليس فاعلا أنتولوجيا أو فلسفيا.
4 إن التلفظ يحيل ضمنيا إلى بنية تتجلّى فيها مختلف الوظائف العاملية .
5 إن علاقة التلفظ بالملفوظ هي من نوع hypotaxique .
6 إن فاعل التلفظ ينقل المعرفة ، و هو لا يصنع رسائل.
7 إن التلفظ يمتلك بنية الملفوظ والعامـــل الوحيد المتمظهر فيه هو العامل الموضوع))[3].

فالتلفظ مقطوعة منطقية مفترضة بواسطة ملفوظ معيّن[4] ، وتصور عوامل خارجة عن الملفوظ ، و تتحكم فيه وتسيّره، هو تصور غير سيميائي ؛ فالمتلفظ هو العامل المنتج لهذا الملفوظ ، و يتم التوصل إلى بنائه من خلال الملفوظ نفسه ، و كذلك الأمر بالنسبة للمتلفظ له ، الذي يُبنى هو الآخر من خلال موضوع الملفوظ و معناه.

(1) - A.J.Greimas et J.Courtés, Sémiotique Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979, p.126
(2) - W. Krysinski, L énonciation et la question du récit, in semiotique en jeu : à partir et autour de l'œuvre d.A.Greimas,Paris, éd. Hadés-benjamins, 1986.
(3) - Ibid., p.179
(4) - J. Courtes, Analyse sémiotique du discours, p. 246.

1.5.4 التلفظ عند جوزيف كورتاس:

في مواجهة المقاربات العديدة التي تناولت مسألة التلفظ ، اتخذت المقاربة السيميائية عند **كورتاس** موقف اللاعتراض و اللاإقصاء ، على الرغم من الاختلاف البيّن في التصورات و المنهج، و ذلك لأن كل وجهات النظر قد تسهم في عملية استجلاء الموضوع و تحديده بدقة.

و التلفظ كما عرفه **كورتاس** هو :(مقطع لساني خالص ، أو بمعنى أسع ، مقطع سيميائي مفترض منطقيا بواسطة ملفوظ ، بحيث تكون الآثار (آثار التلفظ) ماثلة في الخطابات المفحوصة)[1]. و هذا يعني أن الإستراتيجية السيميائية و اللسانية ، تتفقان في عدم الخروج عن حدود الملفوظ المدروس ، بينما تبدو وجهة النظر هذه غير مناسبة للمقاربة النفسية عند **"فرويد"** ، الذي يرى أنه ليس بالإمكان فهم التلفظ من خلال الملفوظ وحده و من أجل وصف التلفظ وصفا كاملا لا يكفي وصف أوضاع فعل الكلام الآنية و إنما الواجب إعادة بناء قصة التلفظ ، ذلك أن الاعتماد على الملفوظ وحده شبيه، حسب المقاربة النفسية للتلفظ ، بمن اكتفى بالجانب المشاهد من الجبل الثلجي العائم [2]. و يبين **كورتاس** [3] بساطة مقترحه السميائي ، بحيث يرى أن أي حكي (récit) يمثل على مستوى التمظهر النصيّ ملمحين متكاملين:

أ - من جهة القصة المروية ، و يطلق عليها اسم:ملفوظ الملفوظ l énoncé énonce .

ب من جهة أخرى ، الطريقة الخاصة التي قدمت بها هذه القصة ، و يطلق عليها اسم تلفظ الملفوظ énonciation énoncée.

(1) - J. Courtes, Analyse sémiotique du discours, p. 246.

(2) – T. Todorov, Théorie du symbole, p. 361.

(3) – J. Courtes, Analyse sémiotique du discours, p. 247.

و استنادا على هذا الافتراض الذي لا يدرج أي اعتبارات تتصل بحياة الكـ ـاتب أو ظروفه النفسية و الاجتماعية يبدو المستهدف منحصرا في الملفوظ فقط ، و يمكننا من خلاله التمييز بين ملفوظ الملفوظ أو المسرود (le narré) كما يسميه **جيرار جينات** (G. Genette). و تلفظ الملفوظ .

(1)

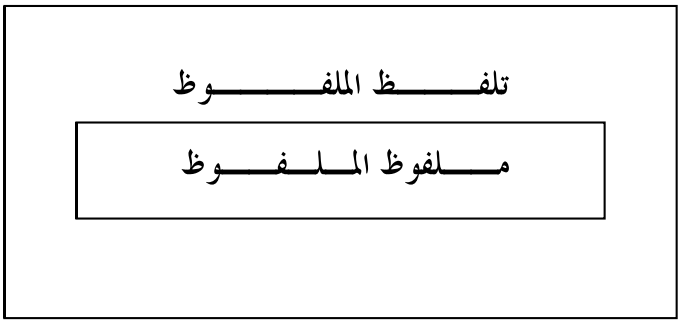

و زيادة في التوضيح يقدم **كورتاس** مثلا [2] يميز من خلاله بين مكوني الملفوظ ، فمقطوعة من فيلم مثلا ، تظهر لنا شخصين يتعاركان ، هي وفق نظرة سيميائية ، تمثل المشهد المشاهد من خلال الشاشة ، و من جهة أخرى هناك وجود لوجهة نظر حيال هذا الحـ ـدث و التي تتجلّى آثارها من خلال طريقة التأطير المستعملة : بحيث بإمكان القصة نفسها أن تقدّم لنا عن قرب أو عن بعد ، و ممكن للتصوير أن يكون جانبيا أو أماميا . و يمكن كذلك استعمال تكبير الصور أو تصغيرها ، فمواقع الكاميرات ، وتحركاتها ، بالإمكان التعرف إليها و إعادة بنائها انطلاقا من الملفوظ المصور المقدم للمشاهد ، وهذا يدل على أن أي مشهد مصور يقدم وجهة نظر ، و أن كل ملفوظ ، كما يقول **كورتاس** ، يحيل حتما إلى تلفظ خاص و مطابق.

(1) - J. Courtes, Analyse sémiotique du discours, p. 247.
(2) - Ibid., P. 247.

يمكن إخضاع ملفوظ الملفوظ أو المسرود ، كما يسمه **"جينات"** ، و تلفظ الملفوظ لتحليل تركيبي و دلالي مماثل ، ((إنهما يتميزان فقط من خلال موقعهما التراتبي المختلف ، فملفوظ الملفوظ ، يبقى تابعا لتلفظ الملفوظ)) [1] وهذا ما يؤكد التزام المقاربة السيميائية بعدم الخروج إلى أي سياق خارجي.

2.5.4 عامل التلفظ و عامل الملفوظ

يمكننا ، في حدود الجملة ، أن نميز بين عاملين اثنين :

أ - عامل الملفوظ - الجملة : هو فاعل نحوي ، و قد يكون ممثلا في شخ ص أو شيء أو حدث ،إلخ .

ب - عامل التلفظ: و هو المنتج للملفوظ ، وهو لا يظهر في الملفوظ مباشرة ؛ فالمتلف ظ و المتلفظ له ((لا يظهران مباشرة في إطار الملفوظ و أدوارهما مفترضة منطقيا))[2].

فإذا قلنا مثلا : يقدم محمد جائزة .

تبين لنا من خلال هذه الجملة فاعل الملفوظ و هو عامل نحوي (محمد) و أما فاعل التلفظ فهو منتج الجملة و هو عامل مفترض منطقيا

المتلفظ ← فاعل التلفظ.

يقدم محمد جائزة ← محمد فاعل الملفوظ.

(1) – J. Courtes, Sémiotique de l énoncé, p. 80.
(2) – J. Courtes, Analyse sémiotique du discours, p. 248.

و أمّا إذا انتقلنا إلى مستوى ما بعد الجملة وإلى مستوى الخطاب و السرد ، وجدنا أن العامل السردي يتمثل من خلال القصة المروية في الشخصين المتعاركين ، بينما العامل التلفظي يتمثل في المتلفظ ، و المتلفظ له ، و الملفوظ . و انطلاقا من اعتبار التلفظ "فعل" (acte) ، و تجربة ، فإنه يضحي شبيها ، كما يقول **كورتاس** [1] ، ببرنامج سردي محـ ـدد ، و يمكننا تمثيله في الخطاطة التالية :

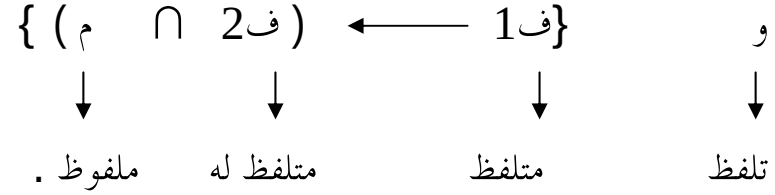

فعام ل التلفظ ، كما سبقت الإشارة إليه ، لا يتمظهر مباشرة في الملفوظ كعامل ملفوظ الملفوظ ، لأن أدواره مفترضة منطقيا ، لكننا نعثر في ملفوظ الملفوظ على ما يدل عليه ، بحيث يتجلّى المتلفظ في مشهد العراك بوصفه لحظة instance تلفظية ، يمكن إعادة بنائها انطلاقا من التأطير المختار ، و زاوية النظر المتخذة في التصوير ، كما يبدو التلفظ مشابها لملفوظ الملفوظ في احتوائه منظومة سردية ، كما أشرنا ، ذلك أن اعتبار التلفظ فعلا تواصليا يمتلك تركيبة عاملية و صيغية ، يجعله يمثل كقصة تسير وفق بنية صراعية تحتية ، تماما كملفوظ الملفوظ ، و قابلة لأن تتمفصل تركيبيا في برنامج سردي ، و في هذا المعنى يقول **كورتاس** : (يصبو التلفظ إلى تحقيق /فعل معرفة/ : و من وجهة النظر هذه ، يمكننا أن نقول إن موضوع /المعرفة/ محوّل من فاعل فعل ، و هو المتلفظ ، إلى فاعل حالة مستفيد ، و هو المتلفظ له)[2].لكن هل هذا يعني أن التلفظ ما هو إلاّ عملية تواصلية تستهدف الحصول على/معرفة/ على غرار النظريات التواصلية؟

(1) J. Courtes, Analyse sémiotique du discours, p. 248.
(2) - Ibid., p. 249.

يظهر **"كورتاس"**[1] أن التلفظ هو ظاهرة أكثر تعقيدا من أن تكون منحصرة في فعل حصول على /معرفة/؛ ذلك أن هدف التلفظ يشمل على /فعل معرفة/ و كذلك /فعل إقناع/ (faire croire) ((فعلاقة المتلفظ /المتلفظ له متعلقة بالتحريك (manipulation))) [2] و بمعنى آخر ، إنّ دراسة تلفظ الملفوظ هي دراسة للتركيب العاملي و الجهاتي في إطار مسار سردي[3] . و في هذا المعنى ، يقدم لنا **كورتاس** مثالا[4] يوضح فيه عملية التحريك التي يستعملها المتلفظ من أجل إقناع المتلفظ له . فحادث طلاق مثلا بين عاملي ملفوظ الملفوظ تبدو انفصالا سعيدا ، بحيث اتفق الزوجان على الانفصال عن تراضٍ

فالقصة على مستوى ملفوظ الملفوظ تظهر القبول و الاتفاق ، لكن على مستوى التلفظ يمكنا أن نتصور ما إذا كان المتلفظ موافقا أو معارضا لوجهة نظر العاملين السرديين و ذلك من خلال استعمال الكلمات و العبارات المختارة لتحديد الموقف التلفظي و هذا ما يجعل المتلفظ له يواجه تحريك المتلفظ ، لكن إذا كان بالإمكان إخضاع تلفظ الملفوظ (تماما كملفوظ الملفوظ) إلى تحاليل تركيبية و دلالية . أين يمكن تحديد تمييز أحدهما عن الآخر ؟

يجيب **كورتاس** عن هذا التساؤل قائلا : ((يتميز (تلفظ الملفوظ عن ملفوظ الملفوظ) من خلال موقعهما التراتبي المختلف فقط، فملفوظ الملفوظ يبقى خاضعا لتلفظ الملفوظ)) [5] .وخلاصة القول إنه لا يجب فهم المقاربة السيميائية للتلفظ على أنها إجراء يكتفي بتحديد متلفظ مفترض انطلاقا من الآثار و الرموز الموجودة في الملفوظ الخطاب ، بل إنّ التلفظ يمتلك بنية الملفوظ بحيث تتحكم فيه بنيات تركيبية عاملية و صيغية متمفصلة من خلال برنامج سردي تماما كملفوظ الملفوظ .

(1) J. Courtes, Analyse sémiotique du discours, p. 250.

(2) – J. Courtes, Sémiotique de l énoncé, p. 79.

(3) –A.J.Greimas et J.Courtes, Sémiotique , Dictionnaire raisonné de la théorie du langage,1986, p.77.

(4) – J. Courtes, Sémantique de l énoncé : application pratique, p. 80.

(5) - Ibid., P.80.

لا يعد **كورتاس** السيميائي الوحيد الذي اهتم بمسألة التلفظ بالدراسة و التحليل ، و إنما تميزت مقاربته لهذه الإشكالية بالمنهجية التعليمية ، و بالخصوص في كتابيه : التحليل السيميائي للخطاب ، من الملفوظ إلى التلفظ / و دلاليات الملفوظ : دراسات تطبيقية . فلم تقتصر أعماله السيميائية على تقديم المفاهيم و استظهار ترابطاتها المنطقية ، و إنما عكف على إثبات دقتها و صلاحيتها من خلال إستراتيجية تعليمية اعتمدت على تكثيف الأمثلة التطبيقية على مختلف الخطابات والنصوص ليلج فضاء القرّاء من خلال فصل حدود التنظير والتطبيق ومحوها، فكلاهما في حاجة إلى الآخر، وتغدو بذلك المعرفة السيميائية أكثر انفتاحا وتوسعا من أن تكون منحصرة على فئة مخصوصة من القرّاء.

ومن المقولات الرئيسة في السيميائيات، إن الدلالة لا تستنبط من سطح النص، ولا تقتصر عليه، وإنما تبدو أكثر تواجدا في رحاب المدلول، وانطلاقا من هذا التقدير يغدو تنوّع النصوص والخطابات أمرا مُتجاوزا، مادام المشترك مستقرا في إطار المضمون. وهذا يعني أنه بالإمكان توظيف المفاهيم ذاتها، والمنهج التحليلي نفسه في الوصول إلى الدلالة واستجلائها، وهذا ما نجده ماثلا في مؤلفات" **جوزيف كورتاس"** وبالخصوص كتابه: **"**من المقروء إلى المرئي**"**، حيث عمد إلى توحيد المفاهيم السيميائي، وانتهج الطريقة ذاتها في مقاربة نصين مختلفين، فالأول نص لساني وسمه بالمقروء وتمثّل في قصة قصيرة لـــ: **"موبسان"** (طاقم الذهب)، وأما النص الثاني وسمه بالمرئي، وتمثّل في شريط مرسوم لـــ: **" رابيي"**. وهذا يعني فيما يعنيه، إن المقاربة السيميائية وأجهزتها المفهومية، ومتصورها أعم من أن تكون مقتصرة على نوع خطابي واحد، وإن التسليم بجزئية المقروء في رحاب فضاء الأنساق الدالة من بديهيات التصوّر السيميائي.

ومن أجل تأكيد هذا المعنى، سنحاول في الفصل الثالث استظهار شمولية الممارسة السيميائية عند **"كورتاس"**، فاخترنا ثلاث مقاربات سيميائية لثلاث نصوص مختلفة؛ بحيث كان القصد من الأولى استظهار البنية العميقة لنص لساني تمثّل في حكاية عجيبة روسية (بابا جاغا)، وأما المقاربة الثانية فقد حاولنا من خلالها استظهار التشاكل والتضايف بين الشكل والمحتوى لنص غير لساني (موكب

جنائزي) ، وسنرى كيف توظّف المقاربة السيميائية عند **كورتاس** المفاهيم اللسانية والسيميائية على النص اللساني وغير اللساني، وسنعمد في هذا الفصل إلى محاولة ممارسة اللغة السيميائية الواصفة على نص مسرحي **لنجيب محفوظ** " الشيطان يعظ"، قاصدين استجلاء علاقات المربع السيميائي من جهة، ومن جهة أخرى إثبات النظري بالتطبيقي وهو في اعتقادنا مُرتكز الاستراتيجية السيميائية لدى **"جوزيف كورتاس"**.

الفصـــل الثـــالث

نوعيةالتحليل السيميائي لدى كورتاس

عناصر الفصل الثالث

III **الفصل الثالث :** نوعية التحليل السيميائي لدى كورتاس

تمهيـــــــــــد

1. قصدية المقاربة السيميائية

2. المقاربة السيميائية ونوعيات الخطاب.

1.2 الأنموذج الأول: دراسة سيميائية لموكب جنائزي

2.2 الأنموذج الثاني : تجلي المعنى في لوحة رابيي

1.2.2 التيمي والتصويري في لوحة رابيي

3.2 الأنموذج الثالث: دراسة سيميائية لحكاية شعبية

1.3.2 الدلالة الثانوية

2.3.2 التعريف بأنموذج "مجموعة 4 كلين"

3.3.2 البنيات العميقة وبنيات السطح

3. مقاربة سيميائية لنص أدبي مسرحي لنجيب محفوظ

تمهيـــــــــــد

1.3 محور الدلالة الثانوية

2.3 محور الدلالة الأولية

1.2.3 الاختلاف طريق المعنى

2.2.3 المربع السيميائي

3.2.3 بنية المربع السيميائي

4.2.3 أهمية المربع السيميائي

3.3 البنية العميقة لـــ: الشيطان يعظ

تمهيـــــــــــد:

تختلف المقاربة السيميائية عن الدلاليات المفرداتية (sémantique leximatique)وبالخصوص الجملية كتلك المطبّقة في فرنسا مع : **"بارنار بوتيي"** (B.Pottier) **و"أوزفالت دوكرو"** (O.Ducrot) ، و**"ألان ري"** (A.Rey) . كما أنّها تختلف عن التيار الدلالي التوليدي مع **"نوام شومسكي"**[1] * . وبإمكاننا إحصاء الفروق والاختلافات وحصرها في كون مشروع البحث السيميائي مؤسس على نظرية الدلالة[2] فهو لا يستهدف سيميائيات الألسن الطبيعية فقط ، ولكن كذلك اللغات السنماتوغرافية والرسم التصويري ... إلخ، ومن جهة أخرى ((تتميّز المقاربة السيميائية بانتقالها من مستوى الجملة إلى مستوى الخطاب))[3] على خلاف المقاربات اللسانية، وفي هذا المعنى تُلحق بها صفة "التوليد" ، ذلك أنّ المقصد السيميائي لا يبدي كبير اهتمام بالتمظهر الخطابي بقدر ما يركز على بناء نماذج قابلة لأن تولّد خطابات، بحيث يزعم **غريماس** ((أنّ توليد الدلالة لا يمر أولا عبر إنتاج الملفوظات وتعالقها بالخطاب، وإنّما هو مرتبط في مساره بالبنيات السردية المنتجة للخطاب المتمفصل من خلال الملفوظات))[4]، فالدلالة وفق هذا التصور مرتبطة بالمحتوى أكثر من التعبير.

تُعتبر الجملة في حقل اللسانيات الجملية، الوحدة القاعدية للملفوظ، حيث يصبح الخطاب بذلك نتاج تسلسل جمل، بينما ((تتخذ اللسانيات الخطابية كما يتصورها القاموس الخطاب وحدة قاعدية معتبرة إيّاه ككل دلالي (tout de signification) وتغدو الجمل، وفق

* من دون إغفال الدعم النظري والمنهجي المستفاد من كل هذه التيارات.

(1)- J.Courtes, Introduction à la sémiotique narrative et discussive , p.28.
(2)- Dictionnaire raisonné de la théorie du langage,1979, p.159.
(3)- J.Courtés Introduction à la sémiotique narrative et discussive , p.28.
(4)- A.J.Greimas, Du sens, 1970 , p.159.

هذا الإجراء ، كمقاطع (segments) في الخطاب / الملفوظ)[1] ، لكن إلى أين يتجه التحليل السيميائي بالتحديد. إلى التعبير أم إلى المحتوى

اهتمّت اللسانيات اهتماما كبيرا بالدال (التعبير)، وأما دراستها للمدلول واهتمامها به فتبدو أقلّ بكثير مقارنة بالأوّل، بينما يركز البحث السيميائي مع **"غريماس"**[2] و**"كورتاس"** وسيميائيي مدرسة باريس على مستوى المحتوى (contenu) فيكون بذلك ((الفعل السيميائي الخالص في أوّل أمره منطلقا بالتخلّي(جزئيا) عن الشكل اللساني من أجل العمل في ميدان المدلول))[3] ، وتغدو السيميائيات - كما يراها **كريماس** الآن - تهتم بالخصوص بالمحتوى وبالمسار التوليدي ، مستهدفة عرض الشروط السابقة لظهور المعنى، ثم إن السيميائي لا يمكنه استنفاد كل الدلالات الكامنة في الخطاب -كما يقول **كورتاس**[4] ولكن على الأقل بعض الملاحظات التي وحده القاريء يمكن تحديد تلائمها مع الخطاب.

1. قصدية المقاربة السيميائية:

لا ينحصر دور النظرية السيميائية السردية مع **غريماس** و **كورتاس*** في تطوير وشكلنة النماذج القصصية، ولا في خلق جهاز تصنيفي يجمع أجناس الخطابات ويميّزها وإنّما سعت إلى الوصول إلى المعنى وتوليد الدلالات من خلال تفكيك الخطابات على أسس منطقية ودلالية، ومن أجل تحقيق هذا المبتغى أمسى لازما استحداث المقولات المعرفية، وإيجاد اللغة الواصفة اللازمة (المفاهيم المجرّدة والمصطلحات) التي تلائم طبيعة الموضوع وتلائم أبعاده النظرية.

(1) – A.J.Greimas et J. Courtes , Sémiotique, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, p.102 .
(2) - J.Courtes, Introduction à la sémiotique narrative et discussive , p.39 .
(3) - Ibid., p.39 - 40 .
(4) - J.Courtes, Du lisible au visible, p.12.

* - نشير إلى التحديدات الواردة في القاموس السميائي وبالخصوص الجزء الأول.

والظاهر كما يرى ذلك **فونتانيل**[1] أنّ النظرية السيميائية قد قامت على مبدأ التقطيع (segmentation) من أجل القبض على موضوعها من دون تغيير طبيعته : فهي تحدّد مستويات للدلالة ، من الأكثر تجريدا إلى الأكثر ظهورا وهذه المستويات هي :

- مستوى البنيات الدلالية الأولية (البسيطة)
- مستوى البنيات العاملية الوصفية
- مستوى البنيات السردية والتيمية
- مستوى البنيات التصويرية .

لكن هل هذا يعني أنّ هناك مسارا سميائيا محدّدا تتبعه المقاربة السميائية من أجل الوصول إلى الدلالة والمعنى ؟

يؤكد **"كورتاس"** أنّه ((ليس هناك مسار ينطلق مباشرة من البنية الأولية للدلالة إلى التوزيع التركيبي للسطح))[2] وإنّما هناك قفز من المستوى الأوّل إلى الثاني[3] ، ويرى كذلك **كريماس** أنّ هذا الانتقال يبدو((كتساوٍ بين الإنجاز (opération) وبين الفعل (faire)))[4] ، مع العلم أنّ المنظومة الأصلية (البنية العميقة) ذات طبيعة منطقية تختلف عن منظومة التمظهر السطحي ذات الطبيعة المشخّصة [5](anthropomorphe).

(1) - J.Fontanille,Sémiotique et littérature, essais de méthode,Paris,éd. PUF,1999,p.2 .
(2) -J.Courtés, Introduction à la sémiotique narrative et discussive , p.81.
(3) - Ibid., P.81.
(4) - A.J.Greimas, Du sens**, 1970 ,** p.167.
(5) - Ibid., P.166.

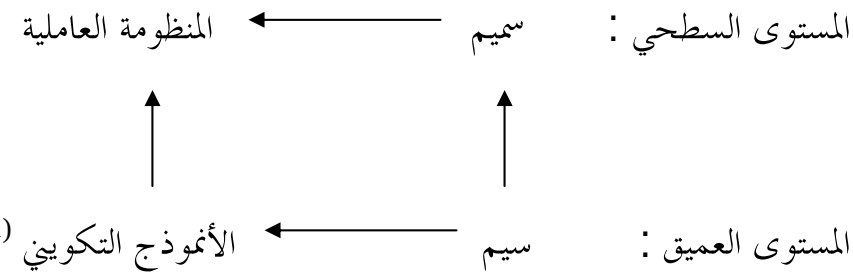

وبالفعل تبدو المقاربات السيميائية لمختلف الأنواع الخطابية مع **كورتاس** مركّزة على المحتوى (contenu) معتبرة إيّاه مركز البنيات الثابتة في مقابل تنوّع التمظهر الخطابي. وسنسعى إلى عرض نموذجين تحليليين **لكورتاس** أحدهما لساني ويتمثل في استظهار البنيات العميقة لحكاية روسية (بابا جاغا)، وأمّا موضوع المقاربة الثانية فهو أنموذج غير لساني ويتمثل في موكب جنائزي.

2. المقاربة السيميائية ونوعيات الخطاب :

إنّ قياس فاعلية النظرية وقدرتها الوصفية كما يقول **كورتاس** إنّما يكون في إطار الممارسات التطبيقية[2]. والجدير بالملاحظة أنّه لا يوجد تعارض بين النظرية والتطبيق في المنظور السيميائي بحيث ((إنّ مفهوم النظرية عند **غريماس** يأخذ قيمة وصفية متميّزة بقدرتها على تحقيق تحاليل ملموسة (concrètes) شديدة التناسق مع القاعدة الإبستمولوجية))[3].وسواء كان الموضوع حكاية عجيبة أو موكب جنائزي أو شريط رسوم أو ظاهرة اجتماعية كالإضراب فإنّ الممارسة السيميائية تبتغي تأكيد قدرتها وفعاليتها حيال كل الخطابات على اختلاف تمظهراتها.

(1) - J.Courtés, Introduction à la sémiotique narrative et discussive , p.81.
(2) - J.Courtes, Sémantique de l'énonce : application pratique, Paris,éd. Hachette,1989 , p.3.
(3) - A.Henault, Histoire de la sémiotique , p.104.

1.2 الأنموذج الأول :

دراسة سميائية لموكب جنائزي:

قدّم **"كورتاس"** في كتابه: "التحليل السميائي للخطاب"* تحليلا لخطاب غير لساني فريد يتمثّل في "موكب جنائزي" [1]، والظاهر أنّ السيميائيات، وهي تحاول مقاربة أنواع الخطابات اللسانية وغير اللسانية، لا يقف عند مستوى التمظهر، بل ترى من اللازم التخلي (جزئيا) على المستوى الظاهري من أجل استظهار العلاقات التي تشكل القاعدة التحتية.

ينطلق **كورتاس** في مقاربته الوصفية من اعتبار هذا الموكب لغة ، بحيث يعرض من جهة موقع الماشين في الموكب وهذا ينتمي إلى مستوى الدال (التعبير) ، ومن جهة أخرى يقدم لنا دلالات تتصل بالمحتوى وهي لا تظهر مباشرة لكن بإمكان أي مشاهد الوصول إليها.

فالموكب متمثل في الشكل التالي :

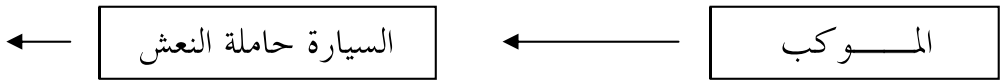

فانطلاقا من أماكن الماشين في الجنازة، ومواضع قربهم وبعدهم من النّعش (وهذا يدخل ضمن تنظيم الدال) نصل إلى تحديد التضايف (corrélation) بين الظاهر المشاهد، والدلالة المتمثلة في العلاقات الاجتماعية التي تربط بين أفراد الموكب بالمتوفى.

* اعتمدنا على ما جاء في كتاب كورتاس : Analyse sémiotique du discours ,de l'énoncé à l'énonciation , pp.25-26

(1) -كما نصادفه في الريف الفرنسي خلال القرن 19 و20 .

فالأكثر قرابة (أهل الميت) نجدهم في مواقع متقدّمة، ثمّ يليهم الأقل قرابة، ثم الأصدقاء، ثمّ المعارف وأخيرا ممثّلو عائلات القرية. وهذا يعني أنّ الفضاء موظّف في الموكب في غير معناه الحقيقي، بحيث أضحى يدل علاقة الماشين بالمتوفى:

$$\frac{\text{قريب}}{\text{بعيد}} \equiv \frac{\text{علاقة قرابة أقرب}}{\text{علاقة قرابة أبعد}} \quad (1)$$

كما قد يُلاحظ المشاهد للموكب تقاربا بين أفراد الجنازة في مقدمة الموكب ، بينما يتجلّى تباعد بين الأفراد كلّما اقتربت مؤخّرة الموكب ، وهذا توزيع آخر للفضاء :

$$\frac{\text{مقدمة الموكب}}{\text{مؤخرة الموكب}} \equiv \frac{\text{تقارب}}{\text{تباعد}}$$

وثمّة تقابل آخر ، إذ يلاحظ قلّة الحركة في المقدّمة وكثرتها في المؤخّرة، والصمت المخيّم في المقدّمة في مقابل كثرة الكلام وأحيانا بعض الضحك في المؤخرة.

وأمّا إذا انتقلنا إلى مستوى مشاهد أخرى (اللون)، تبيّن لنا أنّ الأسود هو الغالب على المقدمة بينما تكثر الألوان كلّما اقتربنا من المؤخرة.

(1) – J.Courtes, Analyse sémiotique du discours, P. 30.

وبإمكاننا إحصاء هذه التقابلات فيما يلي :

(ب)

مقدمة الموكب	مؤخرة الموكب
تقارب	تباعـــــد
أقل حركـــة	أكثر حركة
سكـــــوت	كـــــــلام
بكـــــــاء	ضحـــــك
ســـــــواد	ألـ ـــوان

(أ)

(1)

إنّ هذه التقابلات مرتبطة مع بعضها البعض في الموكب الجنائزي، بحيث إذا كانت القائمة (أ) مميّزة لشكل المقدمة، فإنّ القائمة (ب) تميّز مؤخرة الموكب، ويبدو من غير اللائق (منبوذ) أن تتخلّل المقدمة أحد مكوّنات القائمة (ب).

ويتبيّن لنا أنّ شكل المحتوى يتطابق مع زوج: حياة / موت ، فالقائمة (أ) هي بمثابة الحامل الدّال على فكرة الموت ، بل بإمكان مكوّن واحد من مكوّناتها (السواد مثلا، أو دقيقة الصمت) أن يدلّ على الموت.

ويتجلّى لنا من جهة أخرى كيف أنّ المدلول الواحد (الموت) تتكفّل بإظهاره دوال متعدّدة ومختلفة.

(1) - J.Courtes, Analyse sémiotique du discours, P. 33.

وثمّة تقابل ثانٍ يمكننا إضافته إلى الأوّل وهو : الحـــــــــزن / الفـــــــــرح .

		أ	ب
العبـــــــارة		تقارب أقل حركة سكوت بكاء سواد	تباعد أكثر حركة كلام ضحك ألوان
المضمـــون	مضمون①	موت	حياة
	مضمون②	حزن	فرح

(1)

ويتجلّى لنا وجود تأويلات لكلّ قائمة، إذ إنّ القائمة (أ) تدلّ على الموت من جهة، وتدل كذلك على الحزن من جهة أخرى، وكذا القائمة (ب) تدل على الحياة من جهة، وتدل كذلك على الفرح من جهة أخرى.

ولكن يبدو أنّ هناك سؤالا شديد الأهمّيّة : فهـــــل هذا التحوّل من دوال القائـــــــــــمة (أ) إلى دوال القائمة (ب) يتحقّق فجأة أم يتم مرحليّا ؟

(1) - J.Courtes, Analyse sémiotique du discours, P. 34.

إنّ هذا التحوّل لا يتمّ فجأة، وإنّما يتحقّق مرحليّا، بحيث تبدأ دوال المقدمة بالتحوّل تدريجيا كلّما اتّجهنا إلى مؤخّرة الموكب، هذا على مستوى الفضائي، أمّا إذا انتقلنا إلى دراسة الوجبة المقدمة خلال مراسم الجنازة فإنّنا سننتهي إلى الاستنتاج نفسه، بحيث يخيّم الحـ زن والصمت في البداية (زمنيا) تماما كشأن مقدمة الموكب، ثمّ يبدأ التحوّل مرحليا إلى أن تضحى نهاية الوجبة مخالفة تماما لأوّلها، ويمكننا أن نمثّل للتحوّل المرحلي بالشكل التالي :

مقدمة / الم	ـــوكب	مؤخرة
بكـــاء		ضحـــك

دال ←	بكاء	أوجه صارمة	أوجه شاحبة	تبسّم / ضحك
مدلول←	حـــزن	مصيبـــــــة	تألّـــم	فـــــــرح

(1)

ويسهل علينا من خلال هذا التمثيل الوصول إلى تحديد التماثل isomorphisme الموجود بين مستوى التعبير ومستوى المحتوى ، ذلك أنّ الموكـ ب الجنائزي ليس لعب تقابلات (على المستوى الاستبدالي) ، وإنّما هو قصّة مروية للمارّة (على المستوى التركيبي) بحيث نجد أنّ هناك مسارا ينطلق من الحزن وينتهي إلى الفرح، ومن الموت إلى الحياة. وهذا الذي نجده مشابها لمضامين الحكايات العجيبة التي كثيرا ما تبدأ بوضع حزين وتنتهي بالسعادة .

إنّ المقاربة السيميائية تستعين بمفاهيم لسانية خالصة(الدال/المدلول، الشكل/ الماهية، التعبير/ المحتوى، إلخ) ومفاهيم سيميائية مُبتدعة (التشاكل، المحور الدلالي، إلخ) وتوظفهم توظيفا لا يميّز بين نوعيات الخطابات فالمقصود يتجاوز العلامة اللسانية، وتتعدّد أبعاده شكل العبارة.

(1) - J.Courtes, Analyse sémiotique du discours, P. 36.

إنّ الموكب الجنائزي كان حاملا لتيمات الموت والحياة، والحزن والسعادة، وكان بمقدور أيّ مشاهد للموكب أن يدلي بالتصريح نفسه، لكن ما كنا لنهتدي إلى تحديد تمظهر هذه التيمات وتأويل صورها (Figures) من دون اتخاذ شكل العبارة منفذا وممرّا إلى محل الدلالة الكامن في شكل المضمون.

قد يتبيّن لنا أنّ تيمة الحب والكراهية، والموت والحياة، والسعادة والحزن ليست مرتبطة بالعلامة اللسانية فقط، ولا يقتصر تشكلها على النسق اللساني وحسب، ولكن بإمكانها أن تتوارى خلف المظاهر الثقافية والاجتماعية المختلفة؛ فكل ما يوجد أو يمكن تصوّره يكون حاملا لمعنى، كما يزعّم **كورتاس**[1] ، وانطلاقا من هذا التصوّر تضحى كل الأحداث، والثقافات، والمعارف، وأيّ حياة فردية أو جماعية خاضعة لاستكشاف المعنى الذي يبدو فطريا لدى الإنسان. ولئن اقتصر تحليل **كورتاس** على تحديد التماثل في الموكب الجنائزي، فإنه قد أكسب المقاربة السيميائية انفتاحا يتجاوز الخطاب اللساني، ويتجنّب التصنيف المسبق للأجناس الأدبية الذي اتكأت عليه الدراسات الكلاسيكية.

والجاذب للانتباه في مقاربة **كورتاس**، أن المفاهيم السيميائية الموظفة قد نلفيها في مقاربات أخرى لسانية وغير لسانية؛ فهي لا تُفرد لكل خطاب لغة واصفة خاصة تلائم طبيعته، وإنما قد تُستعمل المفاهيم ذاتها، والاستراتيجية نفسها في تحليل مختلف الخطابات[2] ؛ فالفضاء السيميائي هو الفضاء الواسع لكلّ المظاهر الحاملة للدلالة، والشروع في استكشافها يعني الالتقاء مع بحوث اجتماعية عديدة، وأنتروبولوجية، ونفسية/ إلخ، وحيال هذا الوضع، وبغية إنشاء نظرية للدلالة[3] تجنح السيميائيات إلى التقرّب من كل العلوم والمباحث الموسومة بالدقّة والصياغة العلمية.

إنّنا سنحاول من خلال استعراض مقاربة **كورتاس** لشريط صور لـــ : **رابيي** Benjamin Rabier كيفية تقفي الدلالة، واستظهار تشكلها في غياب كلّي لأيّ دال لساني.

(1) – J. Courtés, Sémiotique du langage, P. 21.
(2) – J. Courtés, Du lisible au visible, P. 11.
(3) – A. Henault, Le langage cet inconnu, P. 294.

2.2 الأنموذج الثاني [1]

تجلي الدلالة في لوحة"ب رابيي :

ليس لدينا في لوحة **رابيي** إلا الدال الغرافي ، وهذا يثبّط من عزيمة الوصول إلى الدلالة وتحديد علاقاتها، ويضعنا في موضع المتسائل عن بدايات التحليل وأبعاده، وعن المفاهيم السيميائية السانحة، واللغة الواصفة الملائمة، لكن ما نكاد نشرع في قراءة مقاربة **كورتاس** حتى تتبدّد مخاوفنا، ويتبدّى لنا أن الدلالة في المرئي قد تكون أكثر بلاغة من المقروء. فانطلاقا من تتبع صور الشريط ، واستنادا إلى قاعدة المتغيرات التي تميّز صوره، يمكننا تحديد الدلالة واستظهارها منطلقين من التصور السيميائي الذي يرى أنّ أيّ تغيّر في العبارة يؤدّي إلى تغيّر على مستوى المضمون وهذا ما يسمى بـــ : الاستبدال commutation .

يسم **كورتاس** مقاربته بالمحدودة (limité) ، فهو لا يهتم بمحو العبارة على الرغم من اتخاذها سبيلا للولوج إلى الدلالة. فالعمق مثلا له ما يماثله على الرسم المشاهد؛ بحيث إن العلاقة بين الخطوط الصغيرة والكبيرة (على المستوى السطحي) التي نلفيها على سطح بيت الكلب المواجه، ليس لها الأبعاد نفسها؛ فالأمامية منها جاء رسمها أكبر من الخلفية، وبإمكاننا ملاحظة الشيء نفسه بالنسبة لركائز البيت الخلفية التي تبدو أقل عرضا وأقل طولا من الأمامية.
وإذا انفردت الصورة VI عن سابقتها بخط سفلي، فلأنه يدل على نهاية الحكي، بينما قد يدل غياب هذا السطر في الصور الأخرى بالاستمرارية، وارتباط سابقها بلاحقها.

1.2.2 التيمي والتصويري في لوحة"رابيي" :

لا بد من التنبيه أنّ فهم القارئ للظاهرة الاجتماعية والثقافية لن يتمّ إلا بمعرفة سابقة يتخذها سنما من أجل التأويل السليم، ثم إنّ صعوبة المقاربة السيميائية تزداد درجة إذا غيّبت المعطيات اللسانية، فنحن لا نلفي في لوحة **رابيي**[2] لا عنوانا ولا أثرا لأيّ لفظة فوق الصور أو تحتها، والعلامة اللسانية الوحيدة الموجودة هي "اسم الرسّام وتوقيعه"، لكن على الرغم من هذا

---

[1] انظر الملحق

[2] - J. Courtés, Sémiotique de l'énoncé : applications pratiques, P. 226.

كلّه سنرى كيف اعتمد **رابيي** على استظهار تيمات الفرح والحزن والسعادة في شكل شريط الصور.

إنّ أيّ خط أو لون في شكل التعبير يكون قابلا أن يكون له تأويل دلالي على مستوى المحتوى؛ فإذا تتبعنا شكل رأس الكلب على اليسار وجدنا انفتاحا للفم في الصور I , III ، لكن هذا لا يدل على أنه في حالة ضحك دائمة وبالخصوص إذا اكتشفنا أنّ هذا الانفتاح كان أفقيا في الصورة I ، ثم أضحى عموديا في باقي الصور ، مما يجعلنا نؤوّل شكل انفتاح الأول بالسعادة والثاني (العمودي) بالمفاجأة والحزن.

لقد حاول **كورتاس** تحديد كل ما بإمكانه أن يعطي دلالة لهذه الرسوم ، فالقصة المروية مفرداتها، وجملها مشكلة في الخطوط والألوان (وإن انعدمت في هذه اللوحة)، والصور، والجاذب للانتباه هو دقّة الرسوم التي لا تخضع للصدفة من جانب، وبراعة استظهار التيمي وحالات النفس من خلال تقفّي التحول والتغيّر في الرسوم من جانب آخر.

وبإمكاننا أن نخلص، استنادا إلى مقاربة **كورتاس**، إلى تحديد حالة الفرح والمفاجأة والغضب والحزن لصورة الكلب على اليسار بما يلي :

الفرح = فتح الفم أفقيا + رفع الحاجبين + وضع الرجل على الصحن + حبل غير ممدود (الصورة I).

المفاجأة = فتح الفم عموديا + رفع الحاجبين إلى الأعلى + وقوف على أربع + تمدد للحبل (الصورة IV) .

الغضب = فتح الفم عموديا + تقطيب للحاجبين + رفع للرجلين الأماميين + تمدد للحبل (الصورة V).

الحزن = فتح الفم عموديا + رفع للرأس + وضع اليد على الرأس + تمدد نسبي للحبل (الصورة VI).

والظاهر أنّ السرد الماثل في لوحة **رابيي** يشبه إلى حدّ بعيد ما توصلنا إليه مع **كورتاس** في مقاربة الموكب الجنائزي؛ بحيث إذا كان الانتقال التيمي في المقاربة الأولى قد تمّ تدريجيا عبر تحوّل

العلامات فإنّ الانتقال الذي وقع على حالة الكلب على يسار الشريط، قد تمّ هو الآخر تدريجيا من الفرحة إلى الحزن عبر حالتي المفاجأة والغضب.

وإذا كانت المقاربتان الأولى والثانية قد عَنَتا بدراسة البنيات السطحية، فإن المقاربة التالية استهدفت استجلاء البنيات العميقة استنادا إلى علاقات مربع منطقي هو : مجموعة 4كلين.

3.2 الأنموذج الثالث :*

دراسة سميائية لحكاية عجيبة"بابا جاغا"

لم تزل المتون الحكائية دائمة الحضور ضمن الممارسات التطبيقية السيميائية سواء المتقدّمة منها أو المتأخرة. وهذا ما يؤكّد تميز هذا النوع من الخطابات وعمق دلالاته، فمحاولة **"كورتاس"** استظهار البنية العميقة لحكاية روسية (بابا جاغا) تؤكّد دقّة التنظيم الدلالي وعمقه في هذا الجنس الأدبي.

ملخّص الحكاية :

يحكى أنّ رجلا تزوّج امرأة بعد وفاة زوجته الأولى ، وكانت له من المرأة الأولى طفلة يتيمة، وأنجبت له الثانية طفلة أخرى، و لم تكن هذه الزوجة تحب اليتيمة، فجعلت م ن حياته جحيما، ولذا فكّر الرجل في أخذ ابنته إلى الغابة، وهناك وجد بيتا ذا مدخنة عالية فقال: أيتها المدخنة أديري ظهرك نحو الغابة ، ووجهك نحوي. ولما دخل الرجل إلى هذا البيت وجد " بابا جاغا" فحيّاها الرجل قائلا :

- إنّني أحضرت ابنتي لخدمتك. فقالت "بابا جاغا" : حسنا، اخدميني وسأجازيك. وذهب الوالد وكلّفت "جاغا" البنت اليتيمة بمشاغل البيت ثم ذهبت . لكن لكثرة المهام جلست اليتيمة أمام الموقد تبكي فجاءتها الفئران وقالت لها : أيتها الطفلة لماذا تبكين ؟ أعطينا قليلا من الحساء، نطلب

*- اعتمدنا على ما جاء في كتاب كورتاس ص ص:141. 152…Analyse sémiotique du discours

هذا منك بلطف، فأعطتهم الطفلة بعض الحساء، فساعدتها الفئران على إتمام تكاليف البيت، ولما عادت "جاغا" أثنت على البنت وأعطتها ملابس كثيرة، ثمّ كلّفتها بمهام أصعب وعادت البنت إلى البكاء مرّة أخرى، وجاءت الفئران وطلبت منها الحساء كالمرة الأولى فساعدتها،ولما عادت "جاغا" أثنت على الطفلة وقدّمت لها ملابس. وبينما هي على هذه الحال جاء الوالد بطلب من زوجته لرؤية ابنته فوجدها غنيّة ، فأخذها ورجع بها إلى القرية،وعند العودة أخذ الكلب بالنباح: "هو هو"، أحضرت السيّد أحضرت السيّدة ، فأسرعت زوجة الأب إلى الكلب تريد ضربه بعصا لف الحلوى، وهي تقول: إنّك تكذب، قل إنّ العظام تقرع في القفة لكن الكلب استمرّ بتكرار الشيء نفسه.

ولما قدم الولد مع ابنته اليتيمة، قرّرت زوجته إرسال ابنتها فأخذها أبوها إلى الغابة، وكلّفتها "بابا جاغا" بمهام البيت ، فبدأت تبكي وجاءتها الفئران وفعلت معها كما فعلت مع أختها اليتيمة لكنها طردتها بعصا لف الحلوى، ونسيت ما كُلّفت به، ولما جاءت "جاغا" غضبت وكلّفتها بمهام البيت مرّة أخرى، لكن كرّرت التصرّف نفسه مع الفئران، ولما عادت "جاغا" غضبت وقتلتها ووضعت العظام في القفّة ، ولما عاد الوالد لإحضار ابنته لم يجد سوى قفة العظام، فعاد بها إلى القرية وبدأ الكلب بالنباح: إنّ هناك عظاما تقرع في القفة فجرت إليه الزوجة تريد ضربه بعصا لف الحلوى، إنّك تكذب قل : أحضرت السيّدة. لكن لما دخل الوالد صرخت الزوجة *.

1.3.2 الدلالة الثانوية:

بغية الفهم الوافي لا بدّ من تحديد بعض التدقيقات الدلالية، كدلالة "بابا" "baba " على الجدّة، ومطابقة "جاغا" "jaga" مع الروح أو القوة الخفيّة، ونلاحظ أنّها تعمل في صالح البطل. وضمن السياق الثقافي الروسي، تسكن "بابا جاغا" في مدخنة مصنوعة غالبا من العظام البشرية أو الحيوانية، وهي تواجه مملكة الأموات. ولذلك أي شخص يقدم إليها لابدّ أن يقول الكلمة السريّة: (أيتها المدخنة أديري ظهرك نحو الغابة ووجهك نحوي). والملاحظ كذلك أنّه كثيرا ما تذكر حيوانات مع "بابا جاغا" كالجرذان، والأفاعي، والفئران. وتأكل غالبا كل من يتجرّأ ويدخل المكان وهذا ما يبرّر انتماء الفئران إلى عالم "بابا جاغا".

* إنّ هذا الملخص من حكاية روسية من نوع 480 (ضمن الترتيب العالمي لـــ :آرن وتوبسون

وبعد عرض هذه الدلالات نلجأ إلى مقاربة أكثر سميائية من خلال محاولة تطبيق أنموذج مجموعة 4 كلين على المستوى العميق.

2.3.2 التعريف بأنموذج مجموعة 4 كلين:

هو أنموذج من نوع رياضي* وظّفه **"بياجي"** "Piaget" في علم النفس ، ولتفادي الدخول في الدقائق الرياضية نقتصر على الصيغة المختصرة **"لفونتانيل"** "Fantanille" .
ولتكن مجموعة G تتحكّم في مكوّناتها قاعدة من نوع (X ← Y) X* Y بحيث تتحكّم هذه القاعدة في أيّ زوج من عناصرها.

فإذا كان A وB مجموعتين داخل G ، ويشمل كلاهما على قاعدة تركيبية داخلية (a وb) ، ويكونان كمولدين لـــ: G ، وإذا كان (n) هو عدد المولدات لـــ: G ويساوي (2). فنحن أمام 4 مجموعات، وتكون عناصر المجموعة تشمل : 1 (وهو عنصر محايد) وA و B و a b

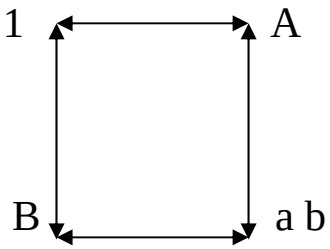

ويستعمل هذا الأنموذج في السميائيات في شكلين بحيث تكون :

1) A هي نفي لـــ: س1
2) B هي نفي لـــ: س2

* اعتمدنا على الملخص الذي قدّمه "كورتاس" لهذا المربع المنطقي في كتابه: Analyse sémiotique du discours, P.138.

بحيث نجد أنّ : س1 و س2 ⟵ عنصر محايد

$\bar{س}_2$ و س1 ⟵ A

س2 و $\bar{س}_1$ ⟵ B

$\bar{س}_1$ و $\bar{س}_2$ ⟵ a b

ونصل إلى التوزيع التالي:[1]

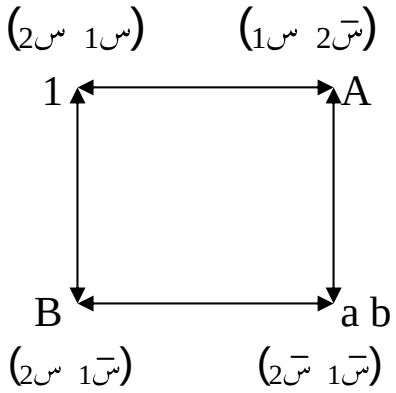

والملاحظ أنّ الأسهم تتحرّك في الاتجاهين وثمّة كذلك قاعدة أخرى هي : ليس هناك سهم يجمع بين 1 و a b أو A و B . وهذا ما يميّز هذا الأنموذج عن المربع السيميائي.

ولتحقيق الفهم الشامل، نلجأ إلى التطبيق لنستكشف العلاقات المنطقية التي تتحكم في إنتاج الدلالة، وينبغي لذلك تحديد الاستثمار الدلالي للمتغيرين (س1 و س2) فالبنيات العميقة تمفصل أهم المعاني الواردة في الخطاب، ويرى **"كورتاس"** أنّ الحكي يضع عاملين أساسيين بحيث يتجلّى من جهة ما نسمّيه التصرّف الذي يتعلّق بالبنيتين، ومن جهة أخرى تتجلّى المعاملة .بمعنى الجزاء الموجّه من طرف "بابا جاغا" في الحالتين.

(1) – J.Courtés, Analyse sémiotique du discours, P.139.

ويبدو أنّ هذين المحورين يحتلان موقعين متقابلين أحدهما موجب والآخر سالب، وأمّا إذا رجعنا إلى الصنف خلقي (éthique) : جيّد / سيّء فإنّنا نصل إلى التوزيع التالي:

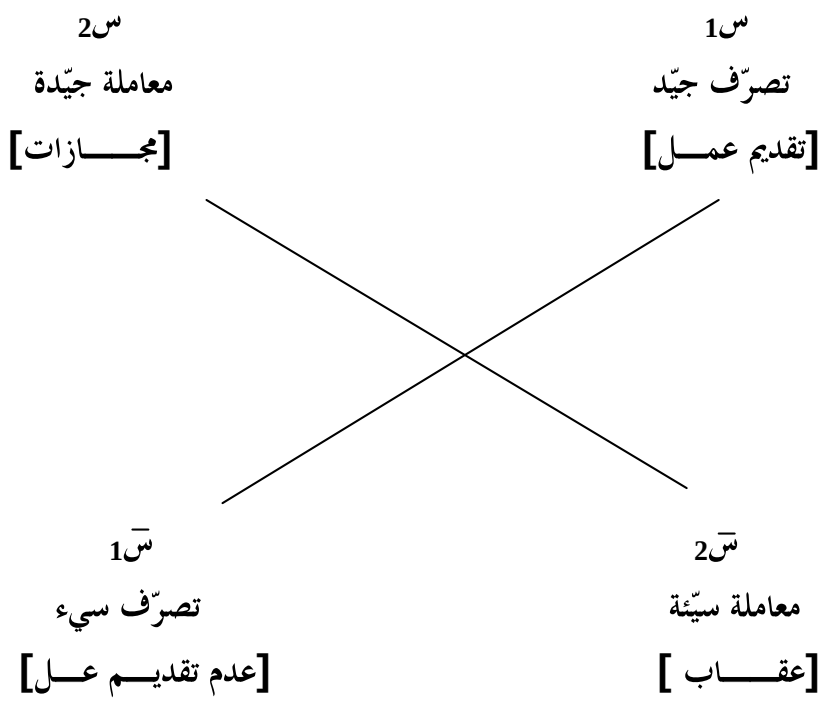

والظاهر كذلك ، كما يقول **"كورتاس"**[1] ، أنّ الحكي يوفّر لنا مصطلحات واصفة (meta-termes) حتى وإن لم تكن مفردة (lexicalisable) ، لكنّنا نشير إليها اعتباطا بالحروف:(أ،ب،ج،د) لنصل في الأخير إلى تمثيل مجموعة 4 كلين :

(1)- J.Courtes, Analyse sémiotique du discours , P.149 .

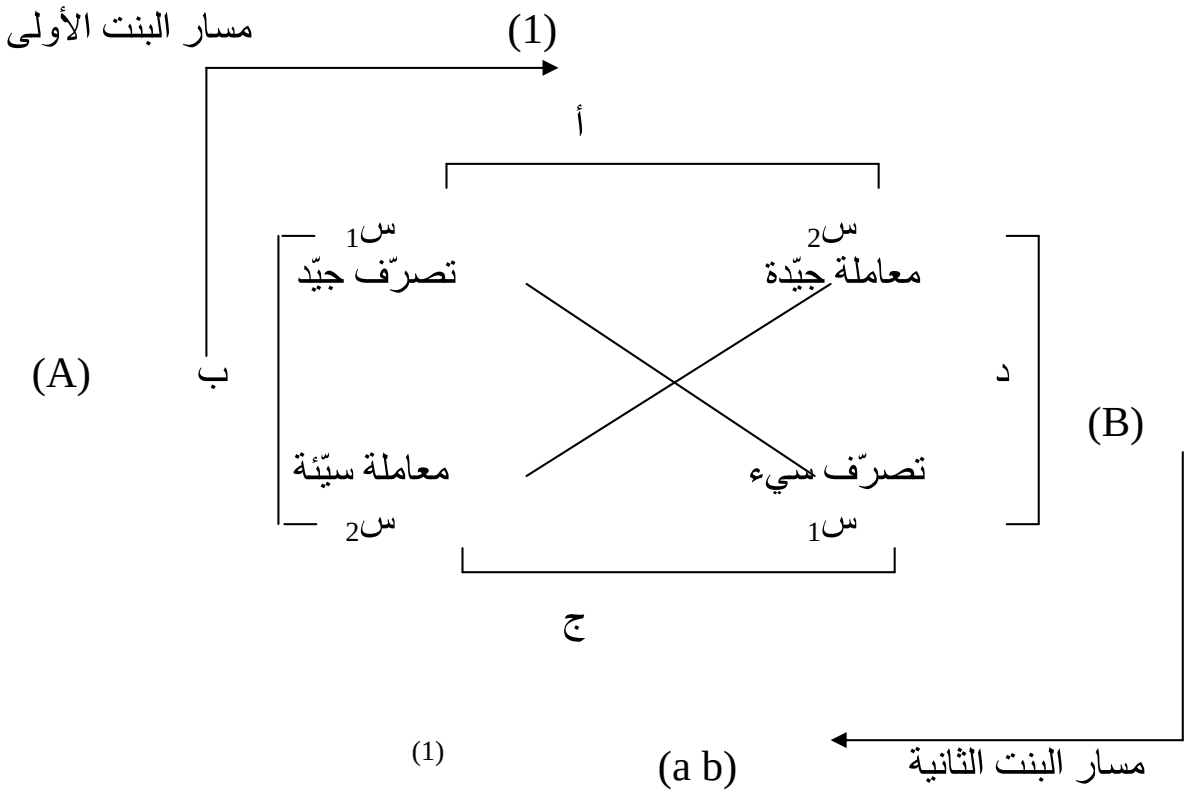

ففي نهاية الحكاية تضحى البنت الأولى في الموقع (أ) وتساند (التصرّف الجيّد) و (المعاملة الجيّدة) بينما نجد أختها في الموقع (ج) لأنّها لا تقدّم (التصرّف الجيّد) فكان الجزاء سلبيا، وهذا ما نجده في عدد كبير من الحكايات الشعبية، أين يجازى الطيّبون ويعاقب المسيئون. كما نلاحظ من جهة أخرى أنّ الموقعين (أ و ج) يمثّلان وصفا عاديا . بينما الموقعان (ب و د) يمثّلان وصفا لا عاديا.

(1) - J.Courtés, Analyse sémiotique du discours, P.144.

3.3.2 البنيات العميقة وبنيات السطح:

يتجلّى لنا في المستوى العميق أنّ الأمر متعلّق بقصّتين متقابلتين ومتكاملتين. فالقصّة الأولى هي قصة البنت الأولى (اليتيمة) والتي نجدها ممثلة في الخطاطة بـــ: [س1 (تصرّف جيّد)و(معاملة سيّئة) س2] وتنتهي في الأخير إلى [س2 (معاملة جيّدة)].

وهذا التحوّل هو مركز قصّة البطلة ونجده ماثلا على مستوى بنيات السطح، ويمكننا أن نمثّله على المحور السردي كانتقال من حالة فصل إلى حالة وصل بين البطلة (ف1) والمعاملة الجيّدة م2 بفضل (فعل) وظيفة (و1) الذي ينتمي إلى تنظيم التملك :

(ف1 البنت1 U م2 معاملة جيدة) ——— و ←——— (ف1 البنت1 ∩ م2 معاملة جيدة) (1)

ونصل بذلك إلى بنية الحكي البسيطة ، المتمثّلة في تحوّل يقع بين حالتين متتابعتين ومختلفتين وننتهي إلى تحديد تضايف (corrélation) بين :

(تصرّف جيّد / جزاء) وبين (تصرّف سيء / عقاب).

وأمّا إذا دقّقنا الملاحظة في التبادل الموجب بين البنت الأولى و "بابا جاغا" (ف1 و ف2) فإنّنا نجد أنّ (التبادل) لا يفترض مانحين (ف1 و ف2) في موقع (فاعلي فعل) وممنوحين (ف1 و ف2 كفاعلي حالة)، وإنّما يفترض كذلك شيئين متساويين :

فمن جهة المعاملة الجيّدة (م2) وهي عبارة عن جزاء ويتمثل في الحكاية في شكل ملابس والتي تدل على الغنى. ومن جهة أخرى العمل المقدّم (م1) المتمثّل في (أشغال البيت) المنجز من طرف البطلة.

(1) - J.Courtés, Analyse sémiotique du discours, P.146.

والملاحظ كذلك أنّ التبادل (و1) يفترض مسارين سرديين من خلال وظيفتين : [1]

(و1أ) و (و1ب) :

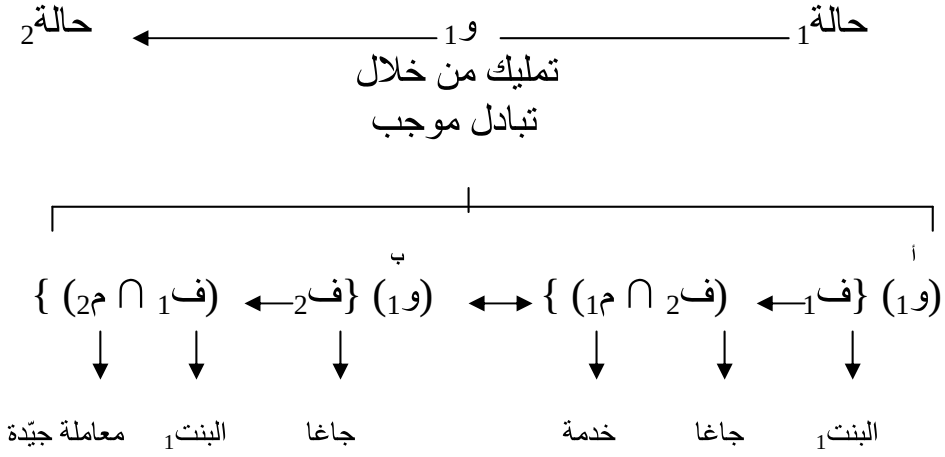

وبإمكاننا أن نقرأ هذه الصياغة الرمزية كالتالي :

إنّ فعل البطلة (و1أ) يجيبه فعل "جاغا" (و1ب) بحيث يكون هنا "جاغا" (ف2) كفاعل فعل.
ويتجلّى لنا وجود تبادل موجب échange positif تحقّق بين البطلة (ف1) والفئران ف2 التي تشارك في نفس العالم الدلالي لـــ: "بابا جاغا" (ف2).

كما نلاحظ من جهة أخرى موضوعين يبدوان متساويين بحيث نجد :

1) - م̄2 المطابق (لمعرفة الفعل) (S F)
2) - م̄1 المطابق لمنح الحساء

ذلك أنّ (منح الحساء) من طرف البطلة أنتج تقديم مساعدة (كيفية إصلاح البيت) من طرف الفئران ويمكننا أن نمثّل لهذا كلّه :

(1) - J.Courtés, Analyse sémiotique du discours, P.146.

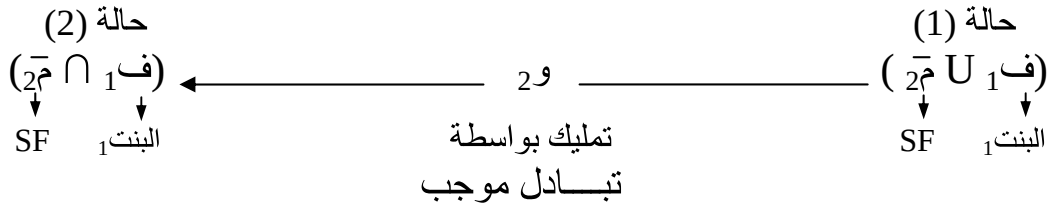

(1)

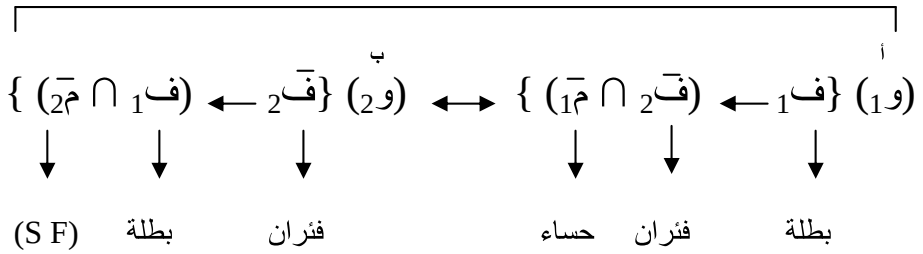

ويمكننا التمثيل بشكل سردي عام عن طريق إظهار عملية الافتراض الأحادي unilatérale ما بين (و1) أ و (و2) ب بحيث (و2) ب جعل (و1) أ ممكنا :

(1) - J.Courtés, Analyse sémiotique du discours, P.148.

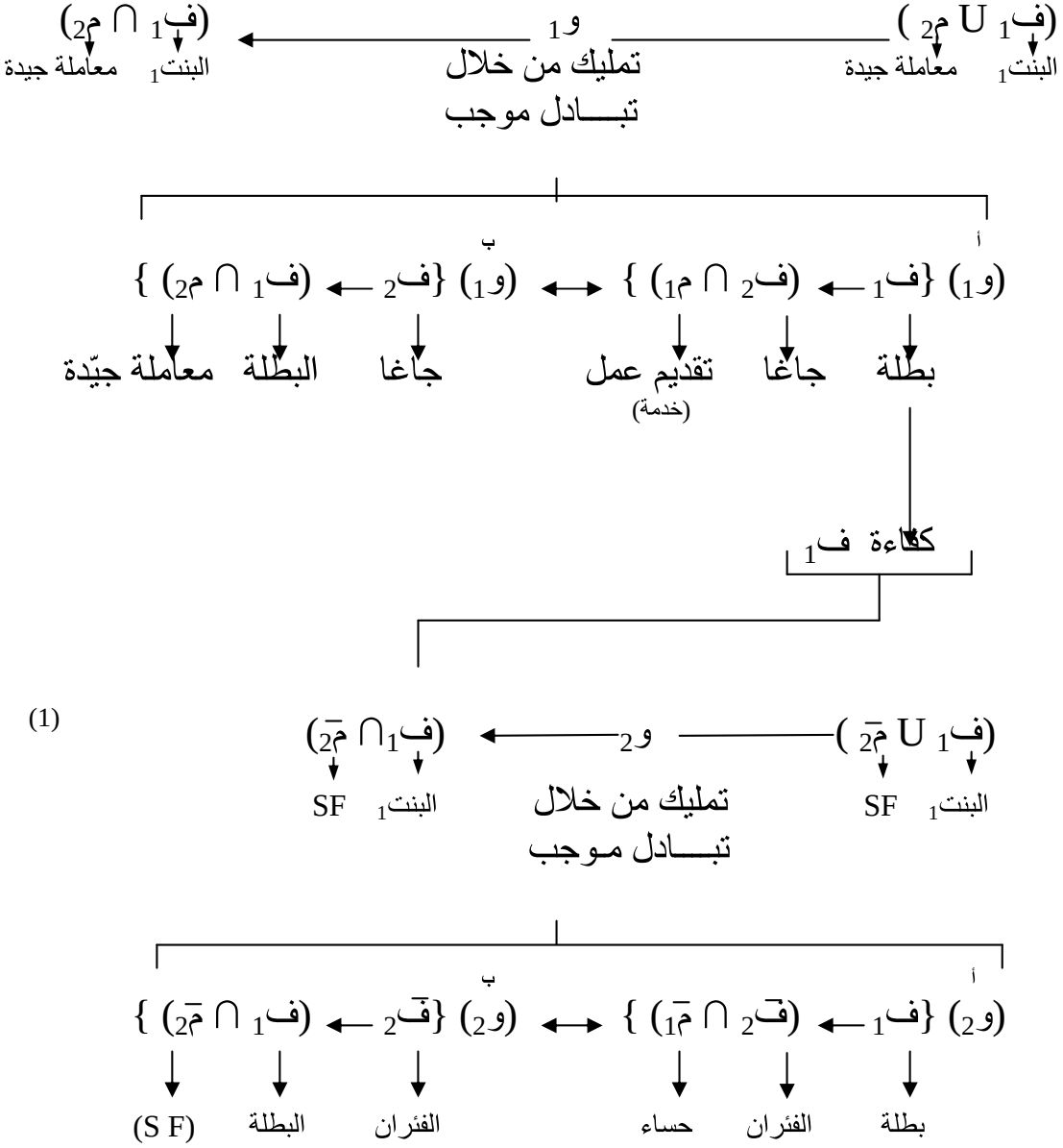

والسهم العمودي يمثّل الافتراض الأحادي unilatérale وهو يدل على كفاءة البطلة.

(1) - J.Courtés, Analyse sémiotique du discours, P.148.

وأما القصّة الثانية فهي عبارة عن تحوّل معاكس للقصّة الأولى، ذلك أنّ في بداية الحكي كانت البنت الثانية ف3 في علاقة وصل بـــ: حسن المعاملة (ف3 ∩ م2) لتضحى في الحالة الأخيرة في علاقة فصل (ف3 U م2). وبإمكاننا أن نحدّد سميائيا هذا الانتقال من الحالة الأولى إلى الحالة الثانية بواسطة السلب privation ، فنحصل حينها على تبادل سالب عكس التبادل الأوّل الموجب :

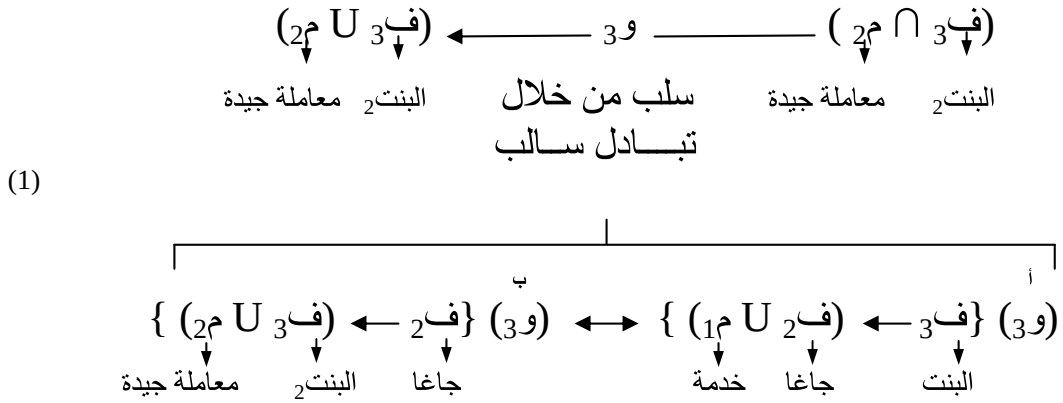

وحتى يكون بإمكان البنت الثانية ألاّ تقدّم خدمة (خدمة سيّئة) ، يجب أن تكون لها كفاءة مطابقة من نوع سالب ، بحيث نجدها تنتقل من حالة لا وصل بـــ:/ معرفة الفعل/ (S F) / إلى حالة فصل من خلال إقصائها لأي مساعدة من طرف الفئران:

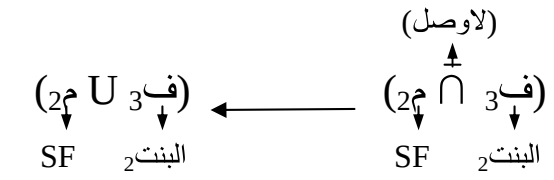

فيكون تمثيل تمفصل مجمل القصة الثانية بـــ:

(1) - J.Courtés, Analyse sémiotique du discours, P.149.

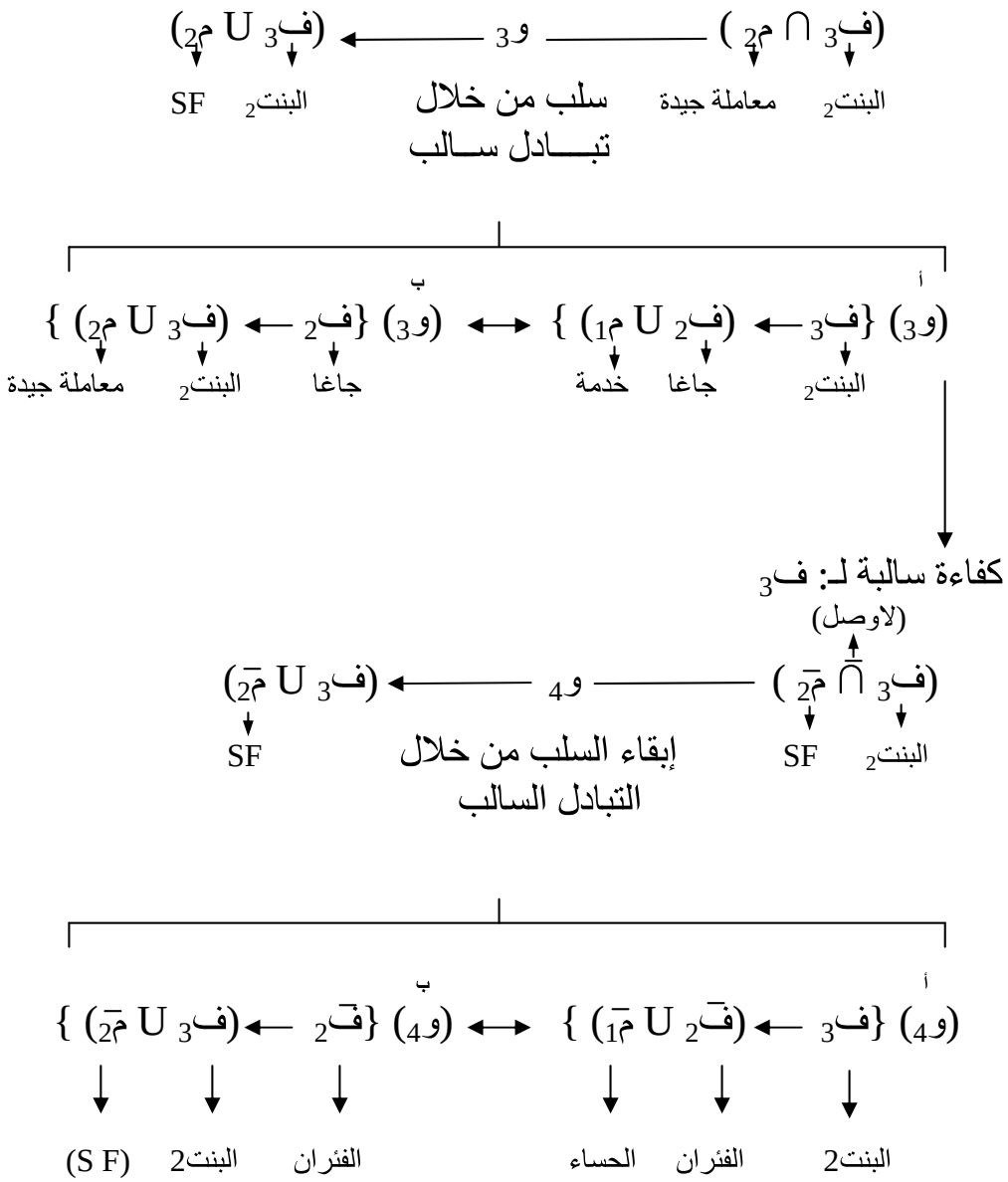

ويتبيّن لنا في نهاية هذا التحليل أنّ الاختبار الموجّه إلى البنيات السردية للسطح تخلص بنا إلى أنّ هناك قيما من المستوى العميق تتمفصل على حسب خطاطة أوليّة :

من جهة: تصرّف جيـــد ، ومن جهة أخرى: معاملة جيـ ـدة .
سيء سيّئة

(1) - J.Courtés, Analyse sémiotique du discours, P.151.

إنّ توظيف هذا الأنموذج الرياضي، واستظهار علاقات عناصره من خلال التحولات الدلالية في نص الحكاية، يشير من جهة إلى عمق التحليل السيميائي ودقّته، ويظهر من جهة أخرى، أن الحكاية التي كانت تبدو بسيطة يتحكم في إنتاجها منطق عميق ينفي أيّ نعت سلبي يلحق بالمتن الحكائي.

إنّنا لو تتبّعنا التركيب الجملي لمتن الحكاية، لوجدنا أنّها لا تخرج عن قواعد اللغة وأنساقها. ولو جمعنا روايات القصة ذاتها، لانتهينا إلى ردّ الاختلاف إلى تغيّر الأعراف والمعتقدات. لكن استهداف البنيات الدلالية العميقة، وتخصيص شكل المحتوى بالدرس والتحليل هو الكفيل بالحكم على تناسق الخطاب وجماليته. وقد توصّل **كورتاس** انطلاقا من مقاربته سيميائية لروايات حكاية "سوندريون"[1] المختلفة إلى الانتهاء باشتراكها كلّها إلى بنية دلالية واحدة مستقرّة في ما وراء شكل التعبير، بل إنّه توصّل إلى الخلاصة[2] ذاتها وهو يُعمل المقاربة السيميائية على النص الديني.

(1) – J.Courtes, Introduction à la sémiotique narrative et discutive, P.109.
(2) – J.Courtes, Sémantique de l'énoncée : Application pratique, P. 84.

3. مقاربة سميائية لنص أدبي مسرحي لنجيب محفوظ:

تمهيـــــــــــــد:

تكاد الأعمال النقدية الأكادمية وغير الأكادمية في الوطن العربي وفيما عداه التي تناولت أعمال **"نجيب محفوظ"** لا تحصى، ولكنّها تناولته روائيا(**غالي شكري، عبد القادر القط بدري عثمان** وغيرهم كثير) وكان منهجها إما تناول عملا واحدا، أو مجموعة يصنّفها الباحث إلى فئة ما: تصنيفا تيميا في الغالب، أو بحسب الموتيفات (الرواية الواقعية، أو الروايات الذهنية...) ومن الأعمال ما تناول زاوية معيّنة ويشتغل عليها بالاستعان بمنهج ما، أو بجملة من المناهج، نمثّل لا حصرا: اللامنتمي في أدب **نجيب محفوظ**، الله في رحلة نجيب محفوظ الروائية، بناء الشخصية في روايات **نجيب محفوظ** الروائية...و لم يُلتفت إلى جنس أدبي سردي تميّز فيه نجيب محفوظ وأبدع وهو القصّة القصيرة إلا عرضا، بيد أنّ أديبنا ما كتب الرواية فقط، ولا القصة القصيرة فحسب، وإنّما كتب أيضا فيما كتب مجموعة من المسرحيات، غير أنّه ضمّنها مجموعة قصصية، وكانت في الغالب من فصل واحد، وكأنّه بعمله هذا كان يجرّب نفسه ويضعها عمدا قاصّا وروائيا وليس كاتبا مسرحيا.

وفيما قرأنا من مسرحيات ذات فصل واحد، وجدنا **نجيب محفوظ** أبدع، وكان نصّه مثقلا دلاليا ومميّزا فنيّا، فالأسلوب والبناء الدرامي لا يقل روعة عن رواياته أو قصصه القصيرة، ومن هنا كان دافعنا الأول لانتقاء مسرحية "الشيطان يعظ" ، وأما الدافع الثاني فهو انتقاء عمل أدبي للتطبيق والممارسة، وبالخصوص توظيف المفاهيم السميائية وتجريبها من أجل إثبات النظري بالتطبيق وهو ذات المقصد الذي يعمل من أجله سميائيو مدرسة باريس. ولذلك رأينا أن نُعمل التطبيق، ونحاول ممارسة اللغة السميائية الواصفة على نص **نجيب محفوظ** بعد عرض التطبيقات السميائية النوعية **"لجوزيف كورتاس"**

1.3 محور الدلالة الثانوية:

إنّ الدلالة الأولى هي مُعتمد التحليل السيميائي وغايته، والمقصد منها تعميق الفهم، وأمّا الدلالة الثانوية فيُراد من إدراجها إثراء الحكايات وإغنائها بالدلالات الجديدة.

والجليّ أنّه على الرغم من اختلاف هاتين الدلالتين - كما سبق ذكره[1] لا يبدو أنّ بينهما أيّ تعارض أو تناقض، وإنّما هما في تكامل، ولذا كثيرا ما نجد إدراج هذه الدلالات الثانوية سندا لدعم التحاليل السميائية خاصة عند **جوزيف كورتاس** . ونص المقاربة المختار"الشيطان يعظ" ، هو آخر نص تراتبي في مجموعة قصصية معنونة به، وقبلها مسرحية الجبل، وكلتاهما من فصل واحد، لكن من مشاهد متعدّدة، ثمانية مشاهد تحويها "الشيطان يعظ" .

إنّها مسرحية تستلهم التاريخ، لكنّها لا تعيد مسرحة أحداث تاريخية وقائعية، وإنّما تكتفي باسترفاد شخصيات تاريخية من العصر الأموي، وتضعها بمخيال سردي مميّز، ومعهود لدى **نجيب محفوظ**، فيتشكّل الملفوظ / النص، وفيه من التاريخ نكهته، ومن الأسطورة غرائبيتها ومن تركيبهما طزاجة الفنيّ الذي لا يقف عند حدود الجمالية، إنّما يتراح نحو فضاء رؤيوي، يقول تصوّره فيما يقول فنّه وجماليته.

والجليّ أنّ دلالة أسماء الأعلام الواردة في نص **نجيب محفوظ** كفيل بأن يعطي للدلالة تشكيلات ذات أبعاد تاريخية ودينية، وثقافية مميّزة، فـــ:"عبد الملك بن مروان" و"موسى بن نصير" لهما من الدلالة التاريخية ما لا يخفى عن أيّ قارئ عربي، وهذا ما يضمن استجابة القارئ وإشراكه في بلوغ الدلالة، بحيث يضحى افتراض أسماء أخرى مكانها عاملا سلبيا يفقد النص كثيرا من مزاياه الأسلوبية والفنيّة.

(1) - الفصل الثاني ، ص.ص.79.78.

ويبدو كذلك أنّ هذا التوظيف السميائي لأسماء الأعلام (موسى بن نصير...) أو التحديّات الزمانية والمكانية (العصر الأموي، المغرب، مدينة النحاس...)، إنّما هو استدعاء صريح لإشراك القارئ العربي بالخصوص في عملية بناء دلالات النص، وهذه من خصوصيات النص الحداثي المعاصر.

2.3 محور الدلالة الأوّلية:

البنية العميقة لمسرحية "الشيطان يعظ"

1.2.3 الاختلاف طريق المعنى

إنّ الوصول إلى الدلالة لا يبدو ممكنا إلاّ من خلال الاختلافات، بحيث يضحى تحديدها عاملا فعّالا في الولوج إلى عالم النص، فلا وجود لمعنى الحياة إلاّ بعلاقتها بالموت، ولا معنى للخير إلاّ بما يقابله من شر، ولذلك يؤكّد **سوسير** هذه الظاهرة (الاختلاف) بقوله: (في اللسان لا وجود إلاّ للاختلافات)[1]. لكن كيف يتم تحديد الاختلاف في البنيات العميقة؟ وما العلاقة التي تتجلّى فيها؟.

إنّ لكلّ برنامج سردي مستوى عميقا يطابقه، وثّمة مجموعة من العمليات المنطقية التي يحدّدها التحليل السيميائي، والتي تتمثّل مثلا في نفي مفهوم من أجل إظهار ما يقابله، ويتكفّل بهذا الإجراء المربع السيميائي.

(1)- F.de.Saussure, Cours de linguistique générale, p.166

2.2.3 المربع السميائي: يعرّف القاموس المربّع السيميائي على أنّه (تمثيل مرئي لتمفصل منطقي لأيّ فصيلة (catégorie) دلالية ، وهو البنية الأوليّة للدلالة بوصفها كعلاقة بين مصطلحين على الأقل، وهي لا تستند إلاّ على التمييز التقابلي الذي يخصّ المحور الاستبدالي للغة...)[1].

لكن هل هذه التقابلات والعلاقات ذات وجود قبلي، ومفروضة على سيمات الخطاب أم هي مستخرجة من ذات النص؟.

إنّ المربع السميائي عبارة عن تقديم مرئي لتمفصل صنف دلالي يمكن أن يستخرج من عالم خطابي مُعطى، صنف يكون بمثابة القلب، إنّه المستوى الأكثر عمقا[2]، بحيث لا ينبغي الاستعانة بمفاهيم خارجة عن الخطاب، أو مفاهيم وأصناف دلالية ثانوية.

3.2.3 **بنية المربع:**

وتقترح بنية المربع[3] مصطلحين س1 و س2 ويقيمان فيما بينهما علاقة تقابلية، وبالضبط علاقة تضاد contrariété، وعن طريق النفي بإمكاننا الحصول على مصطلح مناقض contradictoire ، وانطلاقا من موقع س̄1 و س̄2 في المربع، يكون كلّ منهما في موقع تحت التضاد subcontraire .

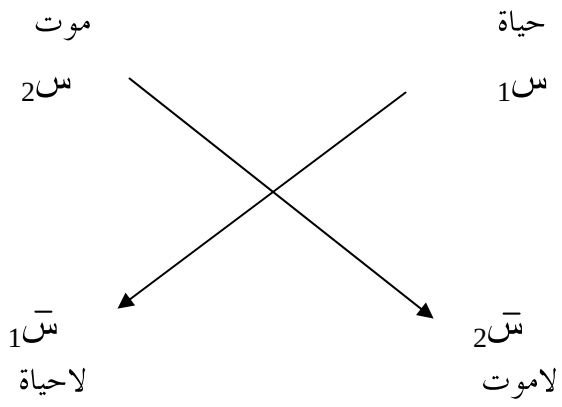

(1) – J.A.Greimas, Sémiotique Dictionnaire raisonne de la théorie du langage, 1979, pp.29-30
(2) - J.Courtes, Analyse sémiotique du discours : de l'énoncé à l'énonciation , p.152
(3) - - Ibid., P.52.

والعلاقات س1 / س̄1 و س2 / س̄2 تتطابق مع تقابلات سلبية priratives مستعارة بالخصوص من الأبحاث الفونولوجية، وكما أنّ العلاقة بين س1 و س2 ليس لها شكل منطقي بحت، وانطلاقا من وجهة نظر شاملة كما يقول **كورتاس**[1] يكون المصطلحان (س1 و س2) متضادين إذا كان نفي أحدهما يثبت الآخر والعكس يصلح كذلك، و بمعنى آخر حتى يكون س1 و س2 متضادين يجب أن يكون س2 يستلزم س1 و س1 يستلزم س2 ، وهذه العملية المزدوجة تقيم علاقة تكاملية بين س1 و س2 من جهة وبين س1 و س̄2 من جهة أخرى.

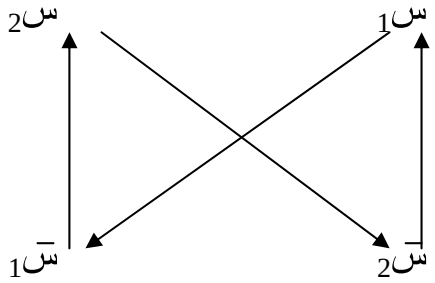

4.2.3 أهمّية المربع السيميائي:

إنّ المربّع السيميائي يسمح بتمثيل المعنى ودلالات النص وإظهار العلاقات التي تمثّل شكل المحتوى و يسمح كذلك بتسجيل وتخزين ما بينيه التحليل من نتائج، ويقودنا إلى حفظ النتائج وتدقيق تناسقها، وهذا ما يؤكد علاقة مستويي التحليل : السطحي والعميق بحيث إنّ كليهما يصبو إلى إظهار هندسة المعنى وتناسقها، كما يسمح هذا الأنموذج بافتراض واكتشاف العمليات المكلفة بالانتقال من قيمة إلى أخرى ،أو العلاقات التي تقام بين القيم المحركة من خلال هذه العمليات. وعلى خلاف مجموعة 4 كلين يقدّم المربع السيميائي مسارا محدّدا:

(1) - J.Courtes, Analyse sémiotique du discours , p.153.

من س2 نحو س1 عبر س̄2 ومن س1 نحو س2 عبر س̄1

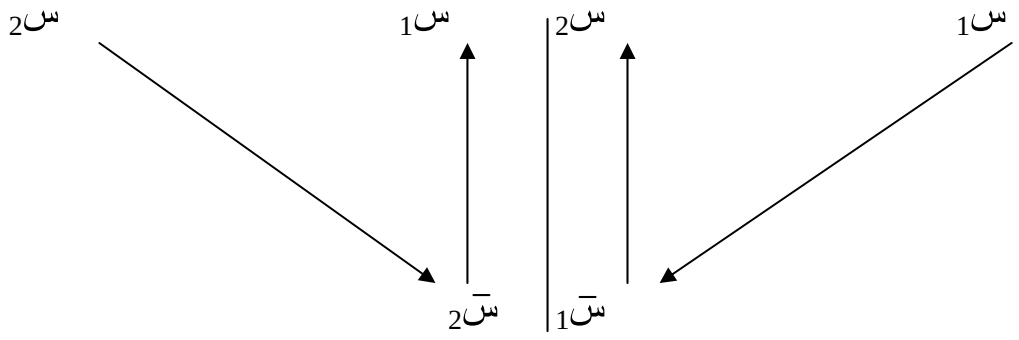

إن المربع السيميائي يساعدنا (على تمثيل العلاقات التي تُقام بين الوحدات من أجل إنتاج الدلالات التي يقدّمها النص للقرّاء)[1]، فمن اللازم التأكيد على أنّ هذا الأنموذج لا يفرض معاني قبلية وينسج علاقات وهمية ويعكسها على النص، كما أنّه لا يهتم بظاهر المعنى، ولا بإيجاد معاني جديدة تتعدّى حدود النص، وإنّما هو لبنة ضمن التحليل السيميائي الذي يصبو إلى تقديم إجابة حول السؤال التالي : كيف يقول النص ما قاله؟.

3.3 البنية العميقة لـــ: "الشيطان يعظ"

فوّض الخليفة (المرسل) الذات الفاعلة أو البطل لإنجاز مشروع تحرّي عن قمقم العفريت، وكان للخليفة غرض ظاهر وآخر باطن، أمّا المقصد الظاهر والمصرّح عنه فهو غرض معرفي فضولي يتمثّل في معرفة حقيقة الجن، وأما الغرض الباطني المستنبط من علامات النص عن طريق الانتقاء والتأويل، فيتمثّل في البحث عن قوّة المادية لدعم أساس الحكم.

(1)- Groupe d'entrevernes, Analyse sémiotique des textes, introduction theorique-pratique,France, éd. presse universitaire de Lyon, 1984, p.132.

والجليّ أنّ الاستغراب الذي أبداه عبد الصمد :"... من يمدّه سلطانه بقوّة القرآن فليس له حاجة إلى قوة العفاريت"[1]. يشير إلى ذلك بوضوح، لكن ما الذي يهدّد أساس الحكم حتى يضطر الخليفة إلى التفكير في استخدام قوة العفاريت؟. لقد تبيّن من علامات النص أنّ المعارضة المتمثّلة في شيعة علي هي الجانب المقابل ، والمعارض لحكم الخليفة الأموي ، ونستشفّ ذلك من الملفوظ التالي:

"... عندما استغرب طالب بن سهل نفاق أهل العلم في مملكة "ترمزين" قال له عبد الصمد :"يؤسفني أيّها الأمير أن أذكّرك بأنّ دار الإسلام لا تخلو من أمثالهم." فاندهش لهذا طالب فعقب:"أأنت من شيعة علي بن أبي طالب "[2].

إنّ هذا الملفوظ يشير صراحة أنّ شيعة علي هي التي تمثّل قطب المعارضة لحكم الخليفة. ونخلص من خلال هذا التقديم إلى أنّ المعنى في المستوى العميق يتمفصل على النحو التالي:

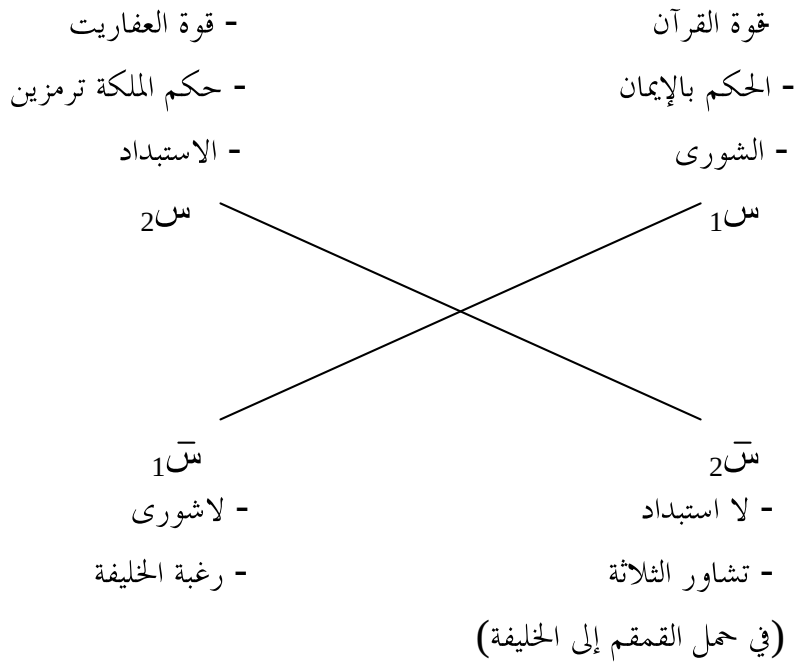

(في حمل القمقم إلى الخليفة)

(1) نجيب محفوظ، الشيطان يعظ، ص.388.

(2) المرجع نفسه ، ص. .409.

لكن هل بإمكاننا اختيار مفاهيم وتيمات أخرى غبر هذه المطروحة في الأنموذج

إنّه من اللازم أن نشير كما يقول **كورتاس**[1] أنّ البنيات العميقة تمفصل الأهم في الخطاب، ولذلك يجب اختيار التيمات التي تتكفّل بأغلبية مشاهد المسرحية.
وبلغة أكثر تجريدا ومنطقية، واستنادا إلى هذه الحدود الأولية البسيطة المتمثلة في مفاهيم:

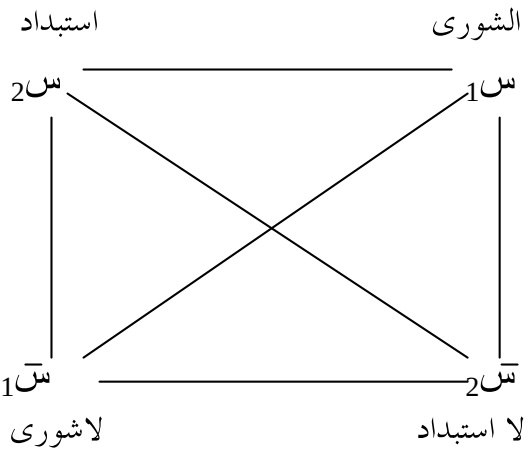

يتضح لنا بشكل واضح وجلي التقابل وعلاقة التضاد بين (س1 / س2) (الشورى / الاستبداد) ومن جهة أخرى يتجلّى مقصد الخليفة الأموي، والرغبة في الجمع بين هذين الطرفين المتقابلين، بمعنى ضم المتناقضين قوّة الشيطان إلى قوّة الإيمان. فهل هذا ممكن؟
إنّ مفهوم الشورى لم يتجلّ بشكل صريح وواضح، وإنّما تمثّل من خلال تأويل علامات الاستغراب التي أبداها الثلاثة: (موسى بن نصير، طالب بن سهل، عبد الصمد) من مظاهر الاستبداد والظلم التي وجدوها في مملكة "ترمزين":

- يعقّب موسى بن نصير قائلا:"الحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام فأنقذ كرامة البشر"[2]
- "يقول عبد الصمد: رغبة مولانا على الرأس والعين، ولكن الله أمرنا بالشورى، ومن يمدّ سلطانه بقوّة القرآن فليس له حاجة إلى قوّة العفاريت."[3]

(1) - J.Courtes, Analyse sémiotique du discours , p.143 .

(2) - نجيب محفوظ، الشيطان يعظ ، ص.396.

(3) - المرجع نفسه ، ص.388.

وفي النص من الملفوظات ما يشير إلى مفهوم "اللاشورى" ، فالمرسل إليه موسى بن نصير يؤوّل الإرسالية طوعيا إلى أمر واجب، بحيث يقول عبد الصمد: (رغبة م ولانا على الرأس والعين...)[1].

ولذا تبدو حركية البرنامج السردي الاتصالية تنطلق نحو البحث عن مصدر قوّة آخر يدعّم حكم الخليفة، وبإمكاننا تمثيل هذه الرغبة بالشكل التالي:

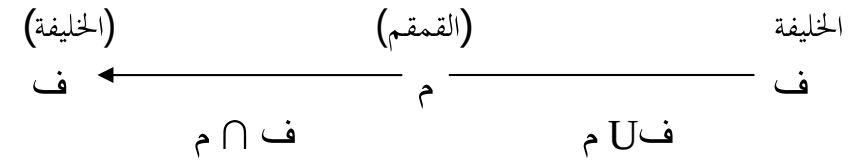

وأما مفهوم الاستبداد فيتجلى بالخصوص في المسار السردي الثاني المتعلق بمملكة "ترمزين" ، بحيث ظهر هذا المفهوم بوضوح تام على كل المستويات السياسية والاقتصادية، بحيث يصوّر هذا العفريت الوضع قائلا: "... لم يحظ بالسيادة في المدينة سوى الملكة والحاشية، ورجال الأم ن والتجار ، وقد استعبدوا الشعب واستغلوه، ولما سقط القمقم بين يدي الملكة قررت أن تستعبد جميع قبائل الأرض "[2].

وبلغ الاستعباد ذروته في إعلان الملكة تنصيب نفسها إلهة في الأرض قائلة :" وبناء على نيتنا الصادقة في ممارسة هذه القوة بالحكمة والعدل ومراعاة سعادة شعبنا بصفة خاصة، وشعوب الأرض بصفة عامة، فقد تفضل الإله المعبود فأضفى رضاه عنا، وأصدر قراره بالنزول لنا عن عرشه فوق الأرض "[3].

---

(1) - نجيب محفوظ، الشيطان يعظ ، ص.388.

(2) - المرجع نفسه، ص.396.

(3) - المرجع نفسه، ص.400.

ويتبيّن لنا بعد تحديد سمات النص أنّ البرنامج السردي للخليفة توجّه من الشورى إلى الاستبداد عبر اللاشورى.

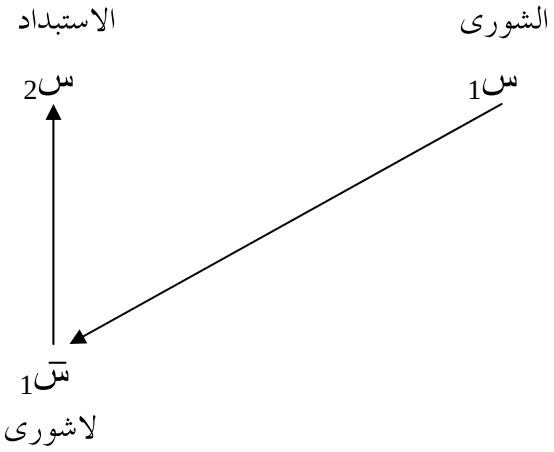

لكن هل تمّ تحقيق مسعى الخليفة ؟

إنّ مسرى الأحداث في المسرحية توجّه بالفاعل المتمثل في : موسى بن نصير، وطالب بن سهل، وعبد الصمد ، من منحى سردي يبتغي نقل القمقم إلى الخليفة إلى مسعى سردي مختلف في شكل عودة زمنية في عمق التاريخ، وتحوّل مكاني إلى مدينة وسط الصحراء من خلال فصل embrayage عاملي، وزماني ومكاني.

وقد سعى الثلاثة على تباين كفاءاتهم إلى تحقيق المسار السردي الهادف إلى منع الملكة من تحقيق رغبتها في التألّه ؛ بحيث اعتمد موسى بن نصير على كفاءته الثورية من خلال انضمامه إلى المقاومة، وسعى عبد الصمد إلى تحقيق برنامجه من خلال قوة العلم (المعرفة الحكمة) كشخصيّة عرّاف، وأما طالب بن سهل فقد اعتمد العاطفة (الحب والعشق الذي يجمعه بالملكة) ، لكن الوسائل الثلاثة لم تحقّق أيّ نجاح ، وظلت الملكة مصرّة على تحقيق هدفها الذي كان يحمل في ذاته أسباب الفشل :

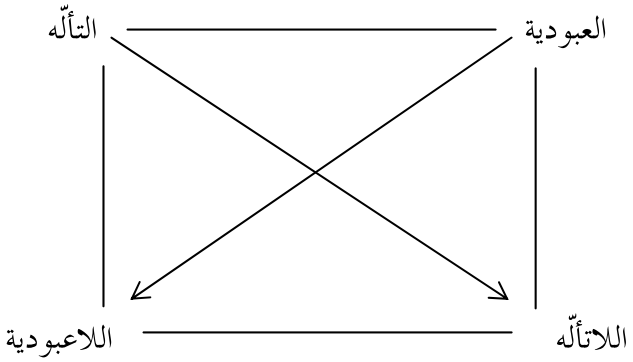

فتطلّع الملكة إلى التألّه من خلال تحقيق اللاعبودية بواسطة الاستبداد، (استضعاف الرعية وقهرها) ثمّ طلب مقام الألوهية ، هو في الحقيقة خروج عن الطبيعة، ولعلّه السبب الذي أدى إلى الموت السحري ، بحيث يمكننا تمثيله :

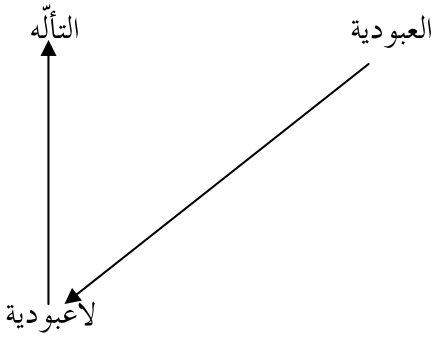

لكن السؤال المطروح هو : ما الرابط الذي يجمع بين البرنامجين السرديين (للخليفة والملكة) إنّ التأويل الذي أعطاه الجنّي لمسعى الخليفة هو سعي للتألّه وليس لطلب القوة فقط : (قال العفريت : قل لمولاك ، من يحكم بالإيمان فلا حاجة به إلى الشيطان.)[1]

[1] نجيب محفوظ، الشيطان يعظ، ص. 422.

فالوعظ الذي قدّمه من خلال إقحام رسل الخليفة في البرنامج السردي الثاني :

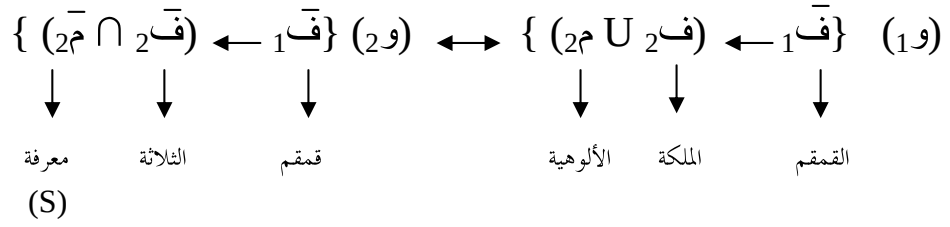

كان بمثابة المعادل الموضوعي لواقع يمكن أن يحدث في المستقبل كما حدث في الماضي، لكن الوعي الجديد الذي قدّمه الجنيّ للثلاثة ، وخوّلهم إبلاغه للخليفة حقّق إمكانية العدول عن تحقيق رغبة الخليفة.

وبعدما كانت الإرسالية الأولى مشروع تحرّي، كلّف الخليفة به الثلاثة، تحوّلت إلى إرسالية ثانية مشروعها إبلاغي ، كلّف الجنيّ به الثلاثة، لكنّها إرسالية غير محقّقة نصيّا، لكن مقتصّة على مستوى القراءة.

وفي الأخير، لا بدّ من التأكيد على أنّ المربع السميائي والإجراءات المنطقية الأخرى (كمجموعة 4كلين)، ما هي إلا وسائط تسعى إلى كشف المعنى، ووصفه، والتنبؤ به، وهذا ما يلحق بالمقاربة السيميائية صفة التعدّد، ونسبية النتائج، بحيث بإمكان النص الواحد أن يكون محط عدّة محاولات وصفية سيميائية أو غير سيميائية، وبالخصوص إذا تعلّق الأمر بالنص الأدبي. وفي هذا المعنى يقول **كورتاس** إنّ (السيميائيات لا تدّعي استخراج معنى نصّ ما، وإنّما هي لا تستهدف إلا وصف الدلالة الأولية(أو المعنى اللساني المتوسط ، فيما يتعلق باللغة الفغلية verbale)، تاركة للعلوم الإنسانية الأخرى (...) مهمة فهم وتأويل الخطابات، واستخراج الدلالات الثانوية) [1]،كما تبدو الدلالة في الخطاب الأدبي أكثر ذوبانا من أيّ خطاب آخر.

[1]- J.Courtes, Analyse sémiotique du discours , p.206 .

خـــــــــــاتمة

قد تبيّن لنا من خلال الفصلين، الثاني والثالث أن السيميائيات عند **جوزيف كورتاس** تميّزت بالتطبيقات النوعية على مختلف النصوص والخطابات، ولم تنحصر على النص اللساني (اللفظي) فقط، فإذا ثبت أن الوصول إلى المضمون لن يتأتى إلا من خلال العبارة، بات من الضروري التنبيه على أن مستوى الدال ليس رهين المواد اللغوية اللسانية، وإنما قد يتمظهر في أشكال مختلفة، عبر الصوت، والصورة، وكل ما تتلفظه الحواس، بحيث يقول **غريماس** (إنّ الدلالة بإمكانها أن تختفي تحت كل التمظهرات المحسوسة، إنها وراء الأصوات، وكذلك الصور، والروائح، والأذواق...) وهذا يعني:

أ- إنّ طبيعة الدلالة موصولة بكيفية إنتاجها، وشروط إنتاجها ، ويكون المسعى السيميائي بذلك يستهدف توسيع حقل عمله من خلال اكتشاف فرضيات استراتيجية لفهم الدلالة من دون الشروع في البحث في ماهيتها وطبيعتها.

ب إنّ العالم المحسوس من حولنا أضحى في كليّته موضوعا لاكتشاف الدلالة والمعنى، مما أدى بالممارسة السيميائية إلى اجتياح مختلف النصوص، سواء الفنية المشاهدة عند **"فلوش"** (J.M.Floch) ، أو الإشهارية عند **"بارتين"** (E.Bartin) ، أو المعمارية عند **"منار حماد"** (M.Hammad) .

وأما إذا تساءلنا عن الخطاب الأدبي ومقامه ضمن هذا التعدد فينبغي التأكيد أنّ (التمظهر المشاهد visible كما يرى **غريماس** هو الأكثر أهمية (في المنظور السيميائي) ، كمّا ونوعا)، ثم إنّه ينفرد عن باقي الخطابات بخاصتين:

أ- كان له الموقع الرائد مع بداية التطبيقات السيميائية خصوصا مع **غريماس** و**كوكي** .

ب إنّ السيميائيات الأدبية كما تقول **"إينو"** لم تزل تمثّل المخبر التجريبي للمصطلحات السيميائية.

والظاهر أن المشروع السيميائي لمدرسة باريس هو مشروع جماعي، مؤسس على جهود عدّة باحثين في مختلف الميادين والمجالات، ولا يمثل **"جوزيف كورتاس"** وإسهاماته السيميائية إلا لبنة بسيطة ضمن هذا البناء الطموح.

وخلاصة القول، إنه من الصعب إحصاء الجهود العظيمة التي انشغلت بمسائل الدلالة والمعنى والعلامة تنظيرا وتطبيقا؛ بحيث لا يمكننا تجاهل فضل مدرسة كوبنهاغن، وحلقة براغ، أو أعمال مدرسة باريس ، ومجموعات زوريخ Zurich ، وبولون Bologne ، وليون Lyon ، وموريال Montréal ، وبروكسيل Bruxelles ، وساو باولو Sao Paolo إلخ ، أو الاتجاهات اللغوية العديدة كالدلاليات التوليدية، والبراغماتية، وهذا يعني أنه من المجحف حصر المشروع السيميائي في أعمال **غريماس** أو بشكل أوسع، في مدرسة باريس، والاعتقاد على أن هذه الأخيرة هي الوريث الوحيد، والوكيل الرئيس لسميولوجيا **سوسير**، كما يبدو من اللاحكمة تقديم الولاء التام لمنهج معيّن، أو مدرسة معيّنة، ذلك لأنّ العلوم الإنسانية هي دوما في تجدّد مع الزمن، فهي، كما يقول العقاد، لا تزال بين ناقص يتم، وغامض يتضح وموزع يتجمع، وخطأ يقترب من الصواب، وتخمين يرقى إلى اليقين، ولا يندر في القواعد العلمية أن تتقوّض بعد رسوخ، وأن تتزعزع بعد ثبوت . ونحن بولوجنا النظرية السيميائية إنما نسعى إلى تمديد فضاء معارفنا وليس تقليصها.

ملحـــــــــــــــق

شريط صور لـــ : ب.رابيي Benjamin Rabier:

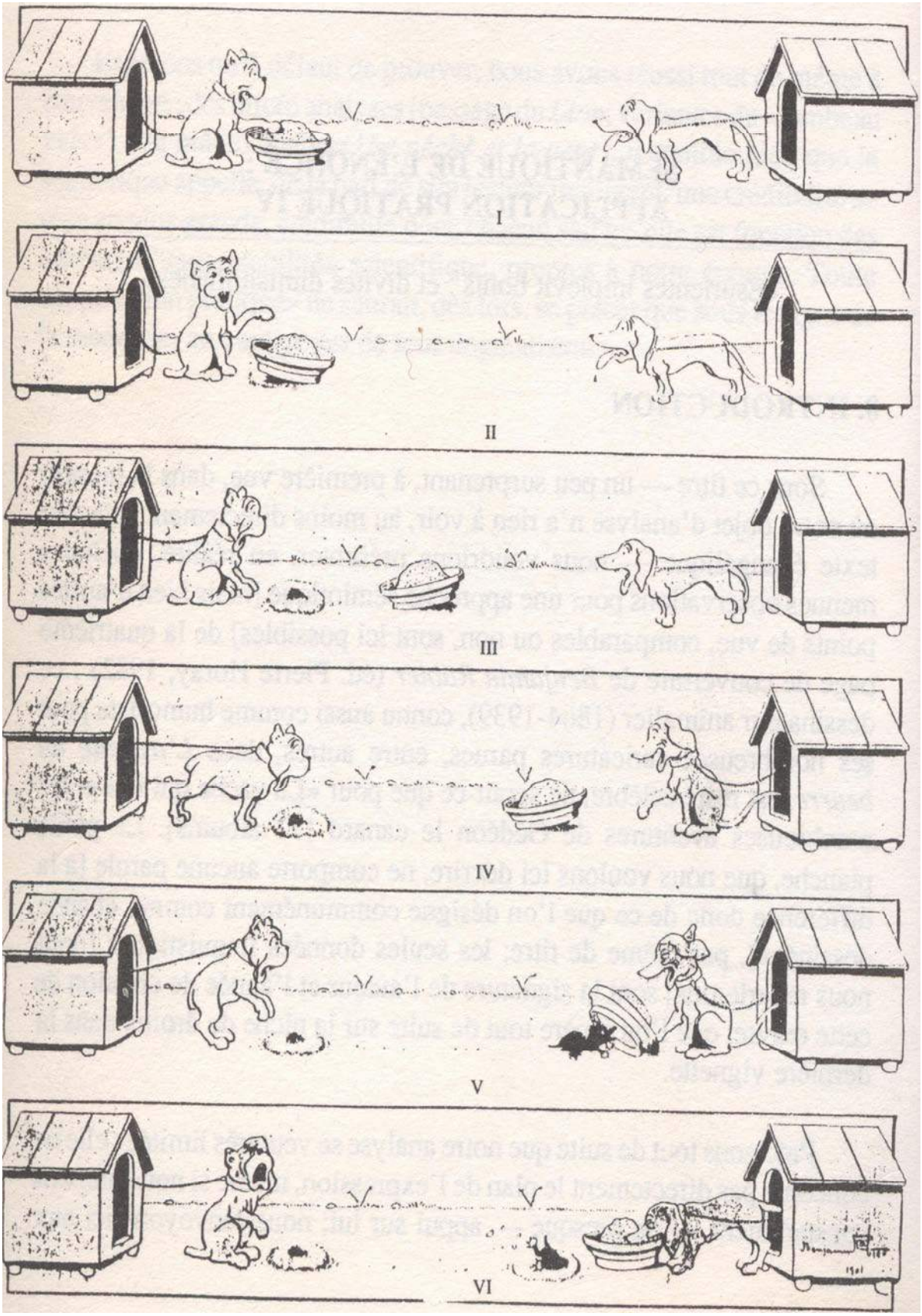

مُلخص:

أرسل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان شخصا يدعى طالب بن سهل إلى واليه موسى بن نصير في المغرب، ويطلب منه قمقما للعفاريت، ذلك لأنه سمع حديثا حولها في جلسة أنس، فرغب في رؤية ما سمع عنه بحثا عن اليقين...وأطاع الوالي موسى بن نصير، لكنه عاجز عن معرفة مواقع القماقم، فاستعان برجل يملك الخبرة والتجربة يدعى عبد الصمد، وأخبره هذا الأخير أنّ القماقم تتواجد في الصحراء في مدينة تدعى مدينة النحاس، مدينة أسطورية زالت منذ عشرين ألف سنة، ما زارها أحد ولا رجع منها أحد... وقرّر الثلاثة الذهاب إليها، آخذين معهم المؤون والسلاح والحذر والدّهاء...، ولدى وصولهم وجدوا مدينة ميتة، الناس في الشوارع كما كانوا في ممارستهم لحياتهم، سائرون، بائعون، جنود، نساء، أطفال، رجال، وملكة على عرشها ومن حولها جندها وحرسها وشرطتها، ولكنّ الجميع متجمّد، كميت في صورة حيّ، أو كحيّ في صورة ميت...ولّما رموا شباكهم في البحيرة، اصطادوا قمقما، ولكنّهم لم يخرجوا عفريته تهيّبا من سطوته،واتّخاذا لمزيد من الحذر، اتصلوا به فحاول أن يقنعهم بمحاولة إخراجه واعدا إيّاهم بأن يحقّق لهم ما يرغبون، ولّما لم يستجيبوا له قصّ عليهم قصّته، فقد كان عفريتا تملكه الملكة "ترمزين" من عشرين ألف سنة، وقد استعانت بقوّته في بسط سلطانها على الناس وقهرهم، وحجر حرّيتهم على التعبير أو الاعتراض على ما يبدر منها من شؤون الحكم والتملّك... لكنّها لما خرجت إلى حدود الكفر بارتكابها معصية لا يُمكن أن تُتجاوز، سلّط عليها الموت المسحور فمكثت كل هذه الفترة كما رآها الثلاثة. وكيما يصدّقون وعدهم بإعادة آخر يوم للملكة كي يشاهدوا ما وقع فيستيقنوا صدقه ويخرجوه...

رأى الثلاثة لدى عودتهم العجب، مدينة غريبة الأحوال، مسلك المرأة فيه كمسلك الرجل، وحاصل ما رأوا يُباين ما عهدوه في عصرهم، غير أنّ الذي بهتهم هو إعلان الملكة "ترمزين" إنّها عازمة في الغد على إعلام مراسيم التتويج الإلهي. أما موسى بن نصير فلم يملك نفسه أمام هذا الكفر البواح، وصدر منه ما يعلن رفضه، وحثّ الناس على الرفض، فسحبه بعض الشباب المعارض إلى الغابة، وهكذا انضمّ إلى الفئة الثورية المعارضة آنذاك...، وأما عبد الصمد فظنّه الناس عرّافا، وانتشر خبره بين الناس، حتى بلغ الملكة فاستدعته كي تستنبئه عن مآل حياتها بعد التتويج، وفي الوقت نفسه تدعو وصيفة الملكة أبا طالب بن سهل (وهو في الثلاثة الشاب الوسيم) لمقابلة

الملكة التي أعجبت به عقب رؤيته من شرفتها... يتبادل الاثنان التعبير عن مشاعرهما، فينتهز أبو طالب الفرصة كي يحاول ردّها عما عزمت عليه مؤكّدا لها خطورة ما تعزم على فعله، ولكنّها جامدة على موقفها جمود الصّخر، ولا يمسكها عن الإساءة لابن سهل غير حبّها إيّاه وإعجابها به.

وبعد لقائها به، تدعو عبد الصمد وتسأله ،وتصرّ رغم إنكاره أنّه عرّاف، أن يخبرها عمّا يخبّئه لها الغيب، ويشير لها أنّ ما في رحم الغيب معاكس تماما لما ترجوه، وأنّ الموت لها بالمرصاد، ويُضمّن نُصحها بالإقلاع عما هي عازمة على تنفيذه، فتتهمه بالمؤامرة وتهدّد بقتله في الغد بعد مراسيم التتويج. وأثناء حوارها يُدخل الجند موسى بن نصير مع الشاب، فتتهمه أيضا بالمؤامرة ضدّها، ويواجهها بأنّها كافرة، وأنّها لاشك آيلة إلى الموت بسبب ما هي مقبلة على فعله من ادّعاء التألّه...

وأمام إصرارها وغطرستها، واتّهامها الثلاثة بالجوسسة والمؤامرة، ومحاولة الإطاحة بعرشها ، يعترفون لها بالحقيقة، ويخبرونها بما قاله العفريت ...فتندهش منكرة وقوع ذلك، وتستدعي العفريت ، وتسأله فيجيبها بالإنكار، ويؤكّد لها ولاءه، فيتعجبون منه،...

وفي المشهد ما قبل الأخير، يرى الثلاثة المدينة ميتة، فيسألون العفريت عن سبب إنكاره فيقول:"لو فعلت لتعذّر عليّ إهلاكها، ولبعثت إلى الوجود مدينة ملعونة أُهلكت بظلمها لتواصل حياة بينها وبين دنيانا عشرين ألف سنة، ولعمري إنّ ذلك شرّ من الموت نفسه".

فيقتنعون بما فعل، ويسألهم وقد كفّر ذنبه أن يطلقوا سراحه، لكنّهم مطيعون لحاكمهم، ومصرّون على أخذه للخليفة عبد الملك بن مروان، فيقول لهم: " ما تسلّط عليّ فرد إلاّ جعل منّي نعمة له ولمن يحب، ونقمة على الملايين، صدّقوني ما أحدث عفريت منّا شرّا إلاّ تنفيذا لمشيئة إنسان."

فينصح عبد الصمد بإطلاق صراحه، ويطلب العفريت منهم أن يُبلّغوا حاكمهم بأن من يحكم بالإيمان فلا حاجة به إلى الشيطان... وأمام هذه الموعظة يطلقون سراحه[1].

[1]- نجيب محفوظ، الشيطان يعظ، موفم للنشر،التاسيلي للنشر والتوزيع، الجزائر،1998،ص.ص(385.422)

مصطلحـــات

مصطلحات

Actant.....عامل

Acte narrative.....الفعل السردي

Acteur..... ممثل

Actualisé..... تحيين

Anthromorphe..... مشخص

Articulation..... تمفصل

Attribution..... منح

Catégorie sémique..... مقولة سيمية

Classification..... تصنيف

Code..... سنن

Codification ..... تسنين

Compétence..... كفاءة

Confrontation..... مواجهة

Contenu..... محتوى

Continu..... متصل

Contral..... تعاقدي

Corpus..... متن

Couple..... زوج

Débrayage..... فصل

Destinaire..... مرسل إليه

Destinateur..... مرسل

Devoir faire..... وجوب الفعل

Discontinu..... منفصل

Discours..... خطاب

Disjonction..... فصلة

Domination..... هيمنة

Effet de sens..... أثر المعنى

Embrayage..... الوصل

Enoncé..... ملفوظ

Enonciation..... تلفظ

Enonciation énonce..... تلفظ ملفوظ

Espace..... فضاء

Expression..... التعبير

Faire syntaxique..... الفعل التركيبي

Figure..... صورة

Figurativisation..... التصوير

Finale..... نهائية

Fonction..... وظيفة

Fonctionnement..... اشتغال

Génération..... توليد

Grammaire fondamentale..... النحو الأساسي

Grammaire narrative..... النحو السردي

Hiérarchie..... تراتبية

Imaginaire..... خيالي

Immanence..... محايث

Instance..... لحظة

Intentionnalité..... قصدية

Isotopie..... تشاكل

Langage..... لغة

Langue..... لسان

Lexème..... لكسيم

Lisibilité..... مقروئية

Manifestation..... تمظهر

Manipulation ..... تحريك

Métalangage..... لغة واصفة

Modalité..... جهاتية

Mode ..... نمط

Modèle..... أنموذج

Narration..... سرد

Narrativisation..... تسريد

Narrativité..... السردية

Narratologie..... سرديات

Niveau..... مستوى

Objet..... موضوع

Opposant..... معارض

Paradigmatique..... استبدالي

Paradigme..... جذر

Parcours..... مسار

Parcours figuratif..... مسار تصويري

Parcours narratif..... مسار سردي

Parcours thématique..... مسار تيمي

Parole..... كلام

Performance..... الآداء

Personnage..... شخصية

Persuasif (faire)..... فعل اقتناعي

Polémique..... سجالي

Pouvoir faire..... قدرة الفعل

Prédicat..... محمول

Procès..... إجراء

Programme..... برنامج

Programme narratif..... برنامج سردي

Qualification..... مواصفة

Réalisé..... محقق

Réduction..... تقليص

Rôle..... دور

Rôle actantiel..... دور عاملي

Rôle thématique..... دور تيمي

Sanction..... الجزاء

Savoir faire..... معرفة الفعل

Schéma..... خطاطة

Sélection..... اختيار

Sème..... سيم

Séquence..... مقطع

Signifiant..... دال

Signifié..... مدلول

Sujet..... فاعل

Syntagmatique..... تركيبي

Syntaxe actantielle..... التركيب العاملي

Syntaxe narrative..... التركيب السردي

Systématique..... نسقي

Taxinomie..... تصنيف

Transformation..... تحويل

Unité..... وحدة

Valeur..... ..... القيمة

Valorisé..... تثمين

Vouloir faire..... إرادة الفعل

قائمة الرموز المستعملة

قائـــــــــــمة الرمـــــــــــوز المستعمـــــــــــلة

ع ..... عامل

ف..... فاعل

م..... موضوع

تر..... ترجمة

تح ..... تحقيق

$\cap$..... علاقة اتصال

$\mathbf{U}$..... علاقة انفصال

$\bar{\cap}$..... علاقة لا اتصال

$\bar{\mathbf{U}}$ ..... علاقة لا انفصال

بيوغرافيـــــــا

بيوغرافيا :

هو الباحث اللساني والسيميائي "جوزيف كورتاس" Joseph Courtés، من أهمّ أعضاء "مدرسة باريس" السيميائية، التي ينتشر باحثوها في كل جامعات العالم، وهو من تلامذة السيميائي الشهير "ألجيرداس جوليان غريماس" A.J.Greimas وقد أسهم معه في إنشاء القاموس السيميائي (1979 1986) الذي يُعدّ مرحلة جدّ مهمة في تحديد مفاهيم النظرية السيميائية ومتصوراتها.

ولعلّ مؤلفات "ج.كورتاس" ومقالاته العديدة كفيلة باستظهار قيمة هذا السيميائي.

- Analyse sémiotique du discours :de l'énoncé à l'énonciation, Paris, éd. Hachette, 1991.
- Le conte populaire :poétique et mythologie,France, éd. PUF,1986.
- Du lisible au visible, analyse sémiotique d'une nouvelle de Maupassant , d'une bande dessinée de B.Rabier , Bruxelles , éd. De Boeck –université, 1995.
- Introduction à la Sémiotique narrative et discursive, Paris, éd. Hachette,1976.
- Levi-strauss et les contraintes de la pensé mythique, Paris, éd. Mame, 1973.
- Sémantique de l'énoncé : application pratique, Paris, éd. Hachette, 1989.
- Sémiotique du langage, France, éd. Armand Colin, 2005.
- (avec A. J. Greimas) Sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Paris, éd. Hachette, tome 1, 1979.
- (avec A. J. Greimas) Sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Paris, éd. Hachette, tome 2, 1986.

مكتبـــــة البـــحث

- مصادر الدراسة
- المراجع العربية
- المراجع المترجمة
- الرسائل الجامعية
- الدوريات
- المراجع الأجنبية
- مواقع الإنترانت

مصادر البحث

- **Courtes J.,**

  - Analyse sémiotique du discours :de l'énoncé à l'énonciation, Paris, éd. Hachette, 1991.
  - Le conte populaire :poétique et mythologie,France, éd. PUF,1986.
  - Du lisible au visible, analyse sémiotique d'une nouvelle de Maupassant , d'une bande dessinée de B.Rabier , Bruxelles , éd. De Boeck –université, 1995.
  - Introduction à la Sémiotique narrative et discursive, Paris, éd. Hachette,1976.
  - Levi-strauss et les contraintes de la pensé mythique, Paris, éd. Mame, 1973.
  - Sémantique de l'énoncé : application pratique, Paris, éd. Hachette, 1989.
  - Sémiotique du langage, France, éd. Armand Colin, 2005.
  - (avec A. J. Greimas) Sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Paris, éd. Hachette, tome 1, 1979.
  - (avec A. J. Greimas) Sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Paris, éd. Hachette, tome 2, 1986.

المراجع العربية

1- **أبو حامد الغزالي**، المنقذ من الضلال، تر.د: جميل صليبا ود: كامل عياد، دار الأندلس.ط.2

2 - **أحمد عمر مختار**، علم الدلالة، القاهرة دار المعارف .1982

3- **أحمد يوسف**، الدلالات المفتوحة مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة- منشورات الاختلاف الجزائر، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، الدار العربية للعلوم، بيروت ط1 . 2005

4- **أحمد يوسف**، القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحايثة - منشورات الاختلاف، ج1 ط1 .2003.

5- **أحمد يوسف**، سيميائيات التواصل وفاعلية الحـ وار، المفاهيم والآليات، منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، ط1 .2004.

6- **أحمد يوسف**، إشكالات المصطلح السيميائي، ضمن كتاب : المصطلح بين المعيارية والنسقية، مشروع قاعدة الاصطلاح المولد، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2006.

7- **حنون مبارك**، دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1987.

8- **حنون مبارك**، مدخل للسانيات دو سوسير، دار توبقال، الدار البيضاء المغـ رب، ط1 . 1987

9- **رشيد بن مالك**، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص. عربي انجليـــزي - فرنسي دار الحكمة، الجزائر، ط1 2000

10- **رشيد بن مالك** مقدمة في السيميائيات السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر، . 2000

11- **سعيد بنكراد**، مدخل إلى السيميائيات السردية، م راكش ، دار تنميل للطباعة والنشر، ط1 . 1994

12- **سعيد يقطين**، تحليل الخطاب الروائي الزمن السرد التبئير الـ مدار البيضاء. بيروت، المركز الثقافي العربي ط1 1989.

13- **طائع الحداوي**، سيميائيات التأويل، الإنتاج ومنطق الدلائل، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1 . 2006.

14- **عادل فاخوري**، علم الدلالة عند العرب دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1 1985.

15- **عبد المجيد جحفة**، مدخل إلى الدلالة الحديثة، الدار البيضاء، دار توبقال، ، ط1 2000

16- **عبد المجيد النوسي**، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية. التركيب.الدلالة)، الدار البيضاء، شركة التوزيع والنشر المدارس، ط1 2002 .

17- **عبد الهادي بن ظافر الشهري**، استراتجيات الخطاب مقاربة تداولية بيروت دار الكتب الجديدة، ، ط1 2004.

18- **كريم زكي حسام الدين**، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، ج1 مصر، 2000.

19- **محمد الداهي**، سيميائية الكلام الروائي، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1 2002.

20- **محمد غاليم**، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، الدار البيضاء، دار توبقال، ط1 1987

21- **نجيب محفوظ**، الشيطان يعظ، موفم للنشر، التاسيلي للنشر والتوزيع، الجزائر، 1998

22- **يمنى طريف الخولي**، فلسفة العلم في القرن العشرين- الأصول.، الحصاد، الآفاق المستقبلية- عالم المعرفة سلسلة كتب يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، 2000.

المراجع المترجمة

1- **بركلي هاربيرت**، مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، تر. قاسم مقدد، دمشق منشورات وزارة الثقافة، ط1 1991.

2- **جان كلود كوكي**، السيميائيات مدرسة باريس، تر.رشيد بن مالك، دار الغـــرب للنشـــر والتوزيع، الجزائر، 2003.

3- **جوزيف كورتاس**، مدخل إلى السيميائيات السردية والخطابية، تر. جمال حضري، مطبعـــة الجسور ش.م.م، الجزائر، ط1 2007.

4- **رومان ياكبسون** الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، تر. على حاكم صالحة وحسن نـــاظم، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1 2000.

5- **كلود ليفي ستراوس**، الإناسة البنيانية (القسم الثاني)، تر. حسين قبيســـي، مركـــز الإنمـــاء القومي، لبنان ، 1990.

الرسائل الجامعية

1- بالعربية

1- **ابن مسعود محمد العربي** السيميائيات والدلاليات. الائتلاف والاختلاف، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2006.

2-**أحمد يوسف** السيميائيات وفلسفة المعنى، رسالة دكتوراة دولة في الفلسفة، جامعة وهران، السنة الجامعية 2004/2003.

3- **أحمد حساني**، العلامة في التراث اللساني العربي، رسالة دكتوراة دولة (مخطوط)، جامعة وهران، 1999.

4- **قوتال فضيلة** ،معالم السيميائيات المحايثة وحدودها، دراسة نقدية في نظرية غريماس السردية، رسالة ماجستير جامعة وهران 2003-2004.

2- بالأجنبية

- **Fillol V.**, vers une sémiotique de l'énonciation, du lieu commun comme stratégie et des Formes et / ou formation discursive comme lieux communs de l'énonciation (dans la presse Féminine), thèse de doctorat nouveau régime, université de Toulouse –le Mirail, 1998**.**

الدوريات

1 - **أحمد يوسف**، توزيعية هاريس والتحليل النسقي للخطاب، عالم الفكـــر، ع 1، مـــج 33 سبتمبر 2004.

2 - **أحمد يوسف**، السيميائيات والتواصل، مجلة علامات، المغرب، ع 24 2005.

3 - **عبد الله حمادي**، تأمل في الخطاب الشعري المعاصر من منظور دلالي، السيميائية والنص الأدبي، ملتقى جامعة عنابة باجي مختار ، 16/15ماي 1995 .

4 - **عزمي إسلام**، مفهوم المعنى دراسة تحليلية - حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، حولية السادسة، 1985.

5 - **قاضي عاطف** - علم الدلالة عند العرب السيمياء - مجلة العرب والفكر العـــالمي، العـــدد 18 / 1992.

قائمة المراجع الأجنبية

A

- **Adam S** ., Introduction à la sémantique , Paris , éd . Anthonopos , 1969.
- **Alain R.**, Théorie du signe et du sens, lectures , Paris, éd. Klincksieck, 1976.
- **Arrivé M**. et **Coquet J.C** ., Sémiotique en jeu : à partir et autour de l'œuvre d'A.J.Greimas , (sous la dir .de), éd . Hadés – Benjamains , 1986.

B

- **Barthes R**., Degré Zéro de l'écriture ,Paris, éd. Gouthier , 1965.
- **Barthes R**., Introduction à l'analyse structural du récit , Paris , éd. Seuil , 1977
- **Barthes R**., L'aventure sémiologique , Paris , éd. Seuil , 1985.
- **Benventiste E**., Problèmes de linguistique générale, Paris, éd. Gallimard , 1966.
- **Benventiste E**., Problèmes de linguistique générale (2), Tunisie , éd. Ceres , 1995.
- **Bremond C**.,Logique du récit , Paris , éd. Seuil , 1973.

C

- **Chomsky N**., Langage et pensé , Paris , éd. petite Bibliothèque Payot , 1970.
- **Cocorda J. P** ., Morphologie du sens , Paris , éd. PUF , 1985.
- **Coquet J.C** ., (sous la dir de) , Sémiotique : l'école de Paris , Paris , éd. Hachette , 1982.

D

- **Dubois J** ., Dictionnaire de linguistique ,France, éd. Larousse , 1973.

E

- **Eco U**., Sémiotique et philosophie du langage, Paris, éd. PUF, 1988.
- **Eco U**., Le signe , Bruxelles , éd. Labor , 1988.

F

- **Fontanille J**., Sémiotique et littérature, Paris, éd. PUF, 1999.

G

- **Greimas A. J**., "Les acquis et les projets", preface in: Courtes.J., Introduction à la semiotique narrative et discursive, paris, éd. Hachette, 1976.
- **Greimas A. J**., Maupassant, la sémiotique du texte, Paris, éd. Seuil, 1976.
- **Greimas A. J**., Sémantique structurale . recherche de méthode , Paris , éd. Larousse , 1966.
- **Greimas A. J**., Du sens, Paris, éd. seuil, 1970.
- **Greimas A. J**., Du sens II , Paris , éd. seuil , 1983.
- **Greimas A. J**., et **Courtes J**., Sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du langage , Paris , éd . Hachette , tome 1 , 1979.
- **Greimas A. J**., et **Courtes J**., Sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du langage , Paris , éd . Hachette , tome 2 , 1986.
- **Groupe d'Entrevernes** , Analyse sémiotique des textes , Paris, éd. P.U.L 1 984 .
- **Guiraud P.,** La sémiologie, Paris, éd. PUF, 1973 .

H

- **Henault A**., Narratologie , sémiotique générale ,France, éd. PUF , 1983.
- **Henault A**., Histoire de la sémiotique , Paris , éd. PUF , 1992.
- **Henault A**., (sous la dir .de) , Question de sémiotique , Paris , éd. PUF , 2002.
- **Hjelmslev L**., Prolégomènes à une théorie du langage, Paris, éd. Minuit, 1971.

K

- **Kerbrat – Orecchioni C**., L'énonciation de la subjectivité dans le langage , France, éd. Colin , 1980.
- **Kristiva J**., Le langage cet inconnu , une initiation à la linguistique , Paris , éd. Seuil , 1981.

- **Kristiva J**., Semiotiké , recherche pour une sémanalyse , Paris , éd. Seuil , 1969.

L

- **Landowski E** ., (sous la dir .de) , lire Greimas, éd. PULIM , 1990.
- **Lefebre H**., L'idiologie structuraliste , Paris , éd. Antropos , 1971.

M

- **Martinet J**., Clefs pour la sémiologie , Paris , éd. Seghers , 1975.
- **Mounin G**., Clefs pour la linguistique, Paris, éd. Seghers , 1971.

P

- **Peirce C. S**., Ecrits sur le signe , Paris , éd. Seuil , 1978.
- **Peraldi F.,** La Semiotique de C.S.Peirce, in Langage, éd. Larousse, № 58, 1980.
- **Prieto L** ., Message et signaux , Paris , éd. Payot , 1966.
- **Prieto L**., Pertinence et Pratique , Paris , éd. Minuit , 1975.
- **Propp V**., Morphologie du conte , Paris , éd. Seuil , 1970.

R

- **Rey – Debove J**., Lexique sémiotique , France, éd. PUF, 1979.
- **Ricoeur P.,** Lecture 2 , La contrée des philosophie , Paris , éd. Seuil, 1992.
- **Rastier F**., Sémantique interprétative, Paris, éd. PUF, 1987.

S

- **Saussure F de**., Cours de linguistique général , Paris , éd. Payot , 1962.

T

- **Todorov T**., Théories du symbole, Paris, éd. Seuil, 1977.

Z

- **Zilberberg C**., Raison et poétique du sens, Paris, éd. PUF, 1988.

مواقع الإنترانت:

1 - منتدى اللسانيات :

http://www.lissaniat.net

2 - موقع سعيد بنكراد :

http://www.saidbengrad.com

الفهـــــــــرس

الفهـــــــــرس

مـــقـــدمـــــة .....أ

مـــــــــــــدخل 6

I الفصل الأول :"مدرسة باريس" الأصول الشكلية والبنوية.....17

1. تعدّد الاتجاهات السيميائية 19

1.1 سيميائيات التواصل 20

2.1 سيميائيات الدلالة 21

1.2.1 السيميائيات واللسانيات بين العموم والخصوص 23

3.1 السيميائيات السردية 25

1.3.1 من مواصفات الباحث السيميائي 26

2.3.1 موضوع السيميائيات السردية 27

2. من مصادر السيميائيات السردية 29

1.2 السردية وتأثيرات بروب 29

1.1.2 المشروع البروبي في سيميائيات غريماس 34

2.2 ليفي ستراوس في السيميائيات السردية 37

1.1.2 ليفي ستراوس وتعميق البحث السردي 39

2.2.2 المكتسبات المهمّة للبحث البنوي الأنتروبولوجي 44

II الفصل الثاني : مميّزات سيميائيات جوزيف كورتاس.....47

تمهيـــــد 46

I. الفعل السيميائي مع جوزيف كورتاس 48

1. استرتايجية كورتاس السيميائية 49

2. التحليل السيميائي ونوعية الخطاب 50

3. دلاليات الحكاية العجيبة 54

1.3 علاقة التيمي بالتصويري 55

2.3 السنن التيمي والسنن التصويري 57

4.إشكالية التلفظ عند كورتاس 60

1.4 التلفظ بين اللسانيات والسيميائيات 60
2.4 مستويات الدلالة 61
أ. الدلالة الأولية 61
ب. الدلالة الثانوية 61
3.4 التلفظ في اللسانيات 62
4.4 التداولية ومسألة التلفظ 64
5.4 التلفظ في السيميائيات 65
1.5.4 التلفظ عند جوزيف كورتاس 67
2.5.4 عامل التلفظ وعامل الملفوظ 69

III الفصل الثالث : نوعية التحليل السيميائي لدى كورتاس.....77
تمهيـــــــــــد.....79
1. قصدية المقاربة السيميائية 80
2. المقاربة السيميائية ونوعيات الخطاب. 82
1.2 الأنموذج الأول: دراسة سيميائية لموكب جنائزي 83
2.2 الأنموذج الثاني : تجلي المعنى في لوحة "رابيي".....89
1.2.2 التيمي والتصويري في لوحة "رابيي".....89
3.2 الأنموذج الثالث: دراسة سيميائية لحكاية شعبية 91
1.3.2 الدلالة الثانوية 92
2.3.2 التعريف بأنموذج "مجموعة 4 كلين" 94
3.3.2 البنيات العميقة وبنيات السطح 97
3. مقاربة سيميائية لنص أدبي مسرحي لنجيب محفوظ 104
تمهيـــــــــــد 104
1.3 محور الدلالة الثانوية 105
2.3 محور الدلالة الأولية 106
1.2.3 الاختلاف طريق المعنى 106
2.2.3 المربع السيميائي 107

3.2.3 بنية المربع السيميائي 107
4.2.3 أهمية المربع السيميائي 108
3.3 البنية العميقة لـــ: الشيطان يعظ 109
خـــاتـــــمـــة 116
ملحـــق 119
مصطلحات 123
قائمة الرموز المستعملة 130
بيوغرافيا.....132
مكتبة البحث 133
الفهرس 144